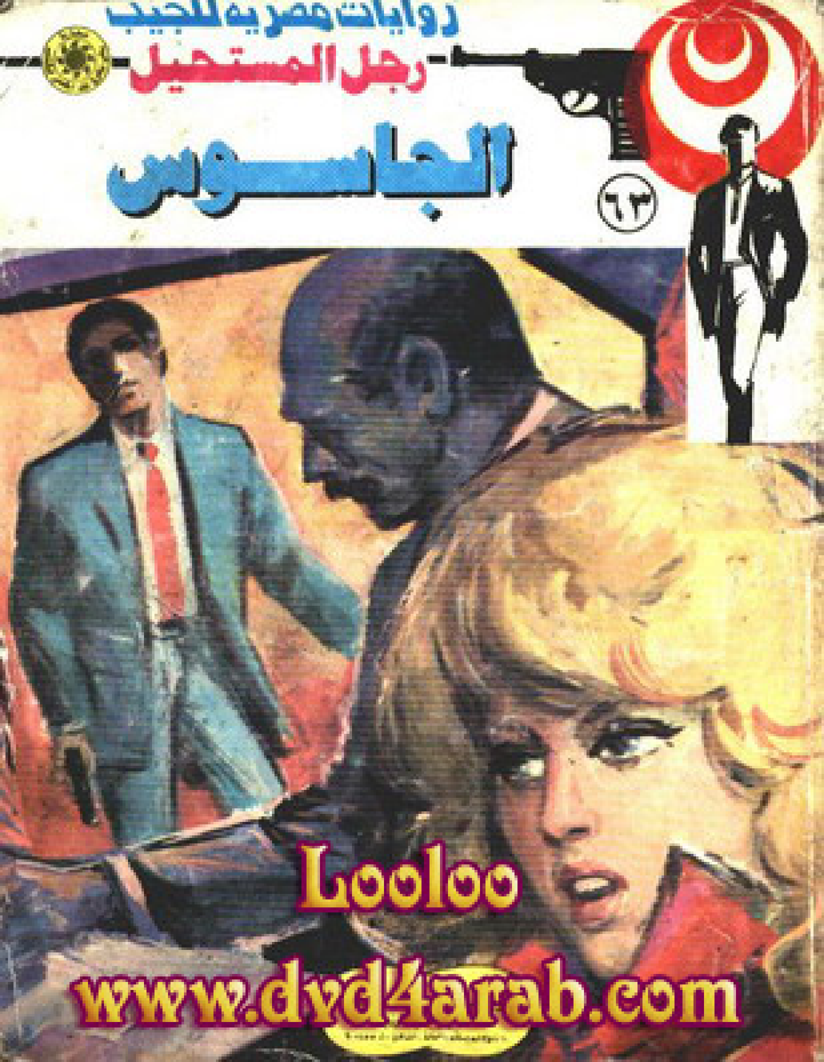


روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
الجاسوس
٦٣
Looloo
www.dvd4arab.com

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن ( أدهم صبرى ) كل هذه المهارات .. ولكن ( أدهم صبرى ) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب ( رجل المستحيل ) .

د. نبيل فاروق



## ١ ــ الاستقبال ..

هبطت الطائرة القادمة من ( القاهرة ) ، فى ذلك الصباح ، فى مطار ( أورلى ) بـ( باريس ) ، وانزلقت عجلاتها بعض الوقت على ممرّ الهبوط ، قبل أن تستقر واقفة ، ولم تكد ( سونيا جراهام ) تلمح ( كلوديا موريس ) على سُلّم الطائرة ، حتى تهلّلت أساريرها ، وهى تلوّح لها بكفها فى حرارة ، من شرفة الانتظار ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة ظافرة ، وهى تسترجع فى ذهنها كل الأحداث السابقة ..

تذكّرت كيف بدأ الأمر منذ بضعة أشهر ، حينما جاءت للعيش فى ( باريس ) ، بعد أن لفظها ( الموساد ) من صفوفه ، إثر عملية فاشلة ، كان الفوز فيها لغريمها اللّدود ، رجل المخابرات المصرى ( أدهم صبرى ) ، حيث التقت بزميلة أخرى مطرودة ، تدعى ( جوزفين مونيه ) ، كانت تعمل بعد طردها مديرة للعلاقات العامة ، فى شركة دعاية ضخمة ، تملكها المليونيرة الفرنسية المغامرة ( كلوديا موريس ) ، وتربطها علاقة وثيقة بملك العصابات فى ( باريس ) ، ( مارسيل بيكر ) ، واتفق رأى الأفعيين ، ( سونيا ) ، التى اتخذت لنفسها اسم

( برجيت فرانسوا ) ، و ( جوزفين ) ، على أن تقوما بعمل قوى ، يقنع ( الموساد ) بإعادتهما إلى صفوفه ، وبعد محاولات بارعة شيطانية ، وُلدتْ منظمة جاسوسيَّة خاصة ، يتزعمها الأربعة ، ( سونيا ) ، و ( جوزفين ) ، و ( كلوديا ) ، و ( مارسيل ) ، وأطلقوا عليها اسم ( ملائكة السَّلام ) ، ونجحت عمليتهم الأولى فى ( موسكو ) ، ثم اعترض ( أدهم صبرى ) ، وزميله ( منى ) طريقهم ، واشتعل الصِّراع ..

وتذكَّرت ( سونيا ) كيف نجحُوا فى الإيقاع بـ ( أدهم ) و ( منى ) فى فخ مُحْكم ، وكيف ألقاهما ( مارسيل ) فريسةً لأسد إفريقى ضخم ، أطلق عليه اسم ( نابليون ) ، ولكن ( أدهم ) نجح فى قتل ( نابليون ) بيديه العاريتين ، وفرَّ مع ( منى ) من وكر ( مارسيل ) ، وتسبَّبا فى مصرع ( جوزفين ) ، فى نفس الوقت الذى سافرت فيه ( كلوديا ) إلى ( مصر ) ، لتبدأ العمليَّة الثانية للمُنظَّمة ، التى أطلق عليها ( أدهم ) اسم ( ملائكة الجحيم ) ، حيث نجحت فى زرع جاسوس بالغ الخطُورة ، فى هيئة التصنيع الحربىّ المصرية ، يعمل جاهدًا على انتزاع سرِّ التعديلات الجديدة ، التى يُجريها خبراء التصنيع الحربى المصريُّون ، فى المقاتلة ( ف ــ ٢٠ ) ، المعروفة باسم ( تايجر شارك ) ..



- وأطلق ( مارسيل ) رجاله خلف ( أدهم ) ، وهو يظن أن ( أدهم ) هو الذى قتل ( جوزفين ) ، وفى الوقت ذاته اتهمت ( سونيا ) ( أدهم ) بسرقة منزلها ، والاعتداء عليها بالضرب ، فانطلق رجال الشرطة يسعَوْنَ خلفه ، ووقع ( أدهم ) بين شِقَّي الرَّحى ، وأطبق الجميع الحصار حوله ، حتى نجح ( مارسيل ) ، بخطة بارعة محكمة ، فى الإيقاع به ، فألقت الشُّرطة الفرنْسية القبض عليه ، وتم إيداعه سجن ( باريس ) ، انتظارًا لمحاكمته ..

وأخذ رجال ( مارسيل ) فى السجن ، يدسُّون لـ ( أدهم ) مادَّة خاصَّة فى قهوته ، التى يتناولها ــ طبقًا لتعليمات السِّجن ــ كلَّ صباح ومساء ، مما أوهن قواه ، وأضعفه ، وأصابه باضطراب فكرىّ ، جعله مشوَّش العقل ، عاجزًا عن القتال ..

وهنا أصْدر ( مارسيل ) أوامره بقتل ( أدهم ) ، داخل السجن ، قبل مغيب شمس اليوم(*) .

واتَّسعت ابتسامة ( سونيا ) فى تلذُّذ وتشفٍّ ، حينما وصلت ذكرياتها إلى هذه النقطة ، فقد بات من المحتَّم ألا تغرب شمس اليوم ، إلا ويكون ( أدهم صبرى ) مجرَّد ذكرى ..

---

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزءين ، الأوّل ، والثانى ، ( ملائكة الجحيم ) و ( ملك العصابات ) .. المغامرتين رقم (٦١) و (٦٢) .

ذكرى رجل كان يحمل يومًا لقب ( رجل المستحيل ) ..

انتزعها من ذكرياتها صوت ( كلوديا ) ، وهى تُقبل عليها متهلّلة الأسارير ، هاتفة فى سعادة :

ـ لقد نجحنا يا عزيزتى ( برجيت ) .. لقد كانت عملية رائعة ، وتمّ كل شىء على النحو الذى خطّطناه .

أشارت إليها ( سونيا ) أن تخفض صوتها ، وهى تقول فى صرامة :

ـ حَذارِ يا ( كلوديا ) .. هل يروق لك فضح أسرارنا على الملإ ؟

ارتسمت على شفتى ( كلوديا ) ابتسامة عابثة ، وهى تخفض من صوتها ، قائلةً فى مرح :

ـ لا تلعبى دَوْرَ المعلّمة النصوح يا عزيزتى ( برجيت ) .. لقد انتهى كل شىء بنجاح ، وأنا أكره المعلّمات منذ طفولتى .

زمجرت ( سونيا ) على نحو بدا متناقضًا مع جمالها الفتّان ، وهى تهمس فى حَنَق :

ـ لم ينته شىء بعدُ يا ( كلوديا ) ، ما دام رجلنا لم يعد بالتصميمات المصريّة ، حتى الآن .

أطلقت ( كلوديا ) ضحكة مرحة ، وهى تقول :



ـ سيفعل يا عزيزتى ( برجيت ) .. أؤكّد لك أنه سيفعل .

قادتها ( سونيا ) إلى خارج المطار فى سرعة ، وهى تصرخ فى أعماق نفسها : أن هذه المليونيرة العابثة ستكون السبب فى تحطيم المنظمة ، لو واصلت استهتارها بكل قواعد السرّيّة على هذا النحو ، وقفزت إلى مقعد قيادة سيّارتها ، وأدارت المحرّك ، وانتظرت حتى احتلّت ( كلوديا ) المقعد المجاور لها ، ثم انطلقت بالسيّارة إلى منزل هذه الأخيرة ..

وأشعلت ( كلوديا ) سيجارتها ، دون أن تعنى بتقديم مثلها إلى ( سونيا ) ، ونفثت دُخانها فى تلذُّذ ، قبل أن تسترخى فى مقعدها ، وقد شعرت بالارتياح لعودتها إلى ( باريس ) ، وسألت ( سونيا ) فى خمول :

ـ كيف حال ( جوزفين ) و ( مارسيل ) ؟.. هل بلغتهما أخبار نجاحى ؟

أجابتها ( سونيا ) فى لهجة صارمة ، ودون أن تبعد عينيها عن الطريق :

ـ لقد لقيت ( جوزفين ) مصرعها .

اعتدلت ( كلوديا ) فى مجلسها بحَرَكة حادّة ، واتّسعت عيناها فى ذُعر ودهشة ، واحتبس دُخان سيجارتها فى صدرها ،

فانطلقت تسعل مرّتين أو ثلاث مرّات فى قوّة ، حتى احتقن وجهها فى شدّة ، ودمعت عيناها ، وهى تقول فى صوت شاحب مُختنق :

— كيف ؟!.. ومتى ؟!.. لقد تركتُها فى خير حال !

كانت الكراهية تبدو واضحة فى ملامح ( سونيا ) وصوتها ، وهى تقول :

— لقد قتلها ( أدهم صبرى ) .

مرّة أخرى اتسعت عينا ( كلوديا ) فى ذُعر ودهشة ، وهى تهتف :

— ( أدهم صبرى ) ؟!.. ألم يفترسه ( نابليون ) ؟

قصّت عليها ( سونيا ) تفاصيل ما حدث ، وبالغت فى إضفاء صفتى الخِسّة والنذالة على ( أدهم ) ، لتجعله يبدو فى صورة وحش مفترس ، أو سفّاح بلا قلب ، حتى وصلت إلى أوامر ( مارسيل ) بقتله فى السجن ، واستمعت إليها ( كلوديا ) مشدوهة ، حتى انتهت ( سونيا ) من قصّتها ، فعادت ( كلوديا ) تلقى ظهرها على مسند مقعدها ، وهى تغمغم :

— إنه يستحق هذا .. لقد كانت ( جوزفين ) رقيقة وجميلة .



ومضت لحظة من الصّمت ، قبل أن تردف فى صوت هامس :

— وهو أيضًا وسيم للغاية .

عقدت ( سونيا ) حاجبيها فى حَنق ، وهى تقول :

— هل وقعتِ فى حبه ؟

أطلقت ( كلوديا ) ضحكة عابثة ، كأنّما لم تتلق منذ لحظات نبأ مصرع ( جوزفين ) ، وابتسمت فى خُبث ، وهى تقول :

— إنه يستحق فى الواقع ، حتى أننى آسفة لأنه خصم لنا .

ثم هزّت كتفيها فى لامبالاة ، وعادت تنفث دُخانَ سيجارتها ، وهى تسأل ( سونيا ) فى هدوء .

— ومتى يتم قتله ؟

تألّقت عينا ( سونيا ) فى شراسة ، وهى تقول فى تشفّ :

— قبل مغيب الشمس يا ( كلوديا ) .. سينتهى ( أدهم صبرى ) إلى الأبد ، قبل مغيب شمس اليوم .

* * *

# ٢ — مصرع سجين ..

من العسير على رجُل اعتاد حياة الخطر ، وألِفها ، وعاش حياة حافلة بالنّضال والقتال ، مثل ( أدهم صبرى ) ، أن يستسلم لذلك الوَهن الذى دبّ فى جسده ، بعد أن تناول قدح القهوة ، الذى يحوى المادّة المخدّرة ، هذا الصباح ، ولكن تلك المادّة اللعينة كانت تجعل عقله مضطربًا مشوّشًا ، حتى أنه كان يبذل جهدًا خارقًا لمجرّد التفكير ، ومحاولة تقييم الأمور ..

كان قد كشف فى اللحظة الأخيرة ، بعد أن انتهى من تناول قهوته ، أنه فريسة لمادّة تسلُبه قُدراته وحُسن إدراكه ، وكان يعلم أن بقاءه على هذا الوضع يجعله لُقمة سائغة لأولئك الأوغاد ، الذين يعملون جاهدين للقضاء عليه ، بعد أن وعدهم زعيمهم ( مارسيل بيكر ) — ملك العصابات — بمكافأة تبلغ ثلاثة ملايين فرنك ، ثمنًا لرأسه ، ولكن ذهنه كان يأبى أن ينسّق الأمر ويدرسه ، ويتخذ الوسيلة الدفاعيّة المناسبة ، للحفاظ على حياته ، حتى يذهب أثر تلك المادّة الملعونة ..

وفى كل مرّة يُحاول تركيز ذهنه فى هذا الأمر ، كان يجد عقله منحدرًا — على الرّغم منه — فى استعادة مشاهد وذكريات



سابقة ، كقتاله مع ( نابليون ) ، وظهور ( سيرجى كوربوف ) المفاجئ ، ومصرع ( جوزفين ) ، وأعماق نهر ( السين ) ..

أفكار مُشوّشة ، متخبّطة ، تذهب بقُدرات ( رجل المستحيل ) ، وتسلبه لقبه الذى يعتز به ، ويفخر بحمله ..

ولكن تلك المادّة اللعينة ، لم تنجح فى إضعاف كل قدرات ( رجل المستحيل ) ..

لقد أبقت له الإرادة ..

إرادة فولاذيّة ، صُلْبة ، عنيدة ..

إرادة قادرة على زحزحة الجبال ، ومواجهة الأعاصير ..

ولكن هل تنجح الإرادة وحدها ؟..

هل ؟..

* * *

ابتسم حارس حجرة الطّعام فى سُخرية ، وهو يتأمّل ( أدهم ) ، الذى بدا شاردًا ، مضطربًا ، شاحبًا ، ثم مال على أذن السجين المسئول عن وجبات الطعام ، وهمس متشفيًا :

— يبدو أنك لن تلقى أية صعوبة فى القضاء على هذا الرجل ، فقد آتت قهوتك مفعولها ، وهاهو ذا يبدو كسكّير مدمن .

ألقى السجين نظرة سريعة على ( أدهم ) ، ثم ابتسم ، قائلًا :

— لم يعُد قتله يقلقني يا عزيزي ، ولكنني أبحث عن وسيلة مناسبة ، تبدو في هيئة حادثٍ عارض ، أو شجار بين سجينين تسبّب في مصرع أحدهما صدفة ، فالزّعيم يكره حوادث القتل المفضوحة ، وما تجلبه من تحقيقات وتحرّيات .

عقد الحارس حاجبيه مفكّرًا ، ثم لم يلبث أن غمغم في حماس :

— ما رأيك في أن يسقط في إناء الطّبخ ، و ...... ؟

قاطعه السجين في هدوء :

— كلّا يا صديقي .. لقد عثرت على الوسيلة المُناسبة .

سأله الحارس في اهتمام :

— كيف ؟

ابتسم السجين في دهاء ، وهو يقول :

— لقد تشاجر الرجل هذا الصباح مع ( شارل ) ، وحطّم أنفه ، وثلاثًا أو أربعًا من أسنانه ، ولا ريب أن ( شارل ) يشعر نحوه الآن بكراهية وبغض لاحدّ لهما ، ولو أننا نجحنا في إرسال هذا الرجل إلى قسم التنظيف ، حيث يعمل ( شارل ) ، سيكون من السهل أن ندفع ( شارل ) لقتله ، في حين نبقى نحن بعيدًا عن الصُّورة .



غمغم الحارس معترضًا :

— وكيف يقتله ( شارل ) في حجرة التنظيف ؟

أجابه السجين في لهجة رجل ضجر :

— ألا تعلم كيف يتم اعتصار الثياب قبل تجفيفها ؟.. إنها توضع تحت مكابس ضخمة قويّة .. هل فهمت ؟

تألّقت عينا الحارس ، وهو يقول :

— يا للشيطان !!.. لقد فهمتك بالطبع .

ثم عاد يسأله في اهتمام :

— ولكن كيف يمكن نقله للعمل في قسم التنظيف ؟

أجابه السجين في هدوء :

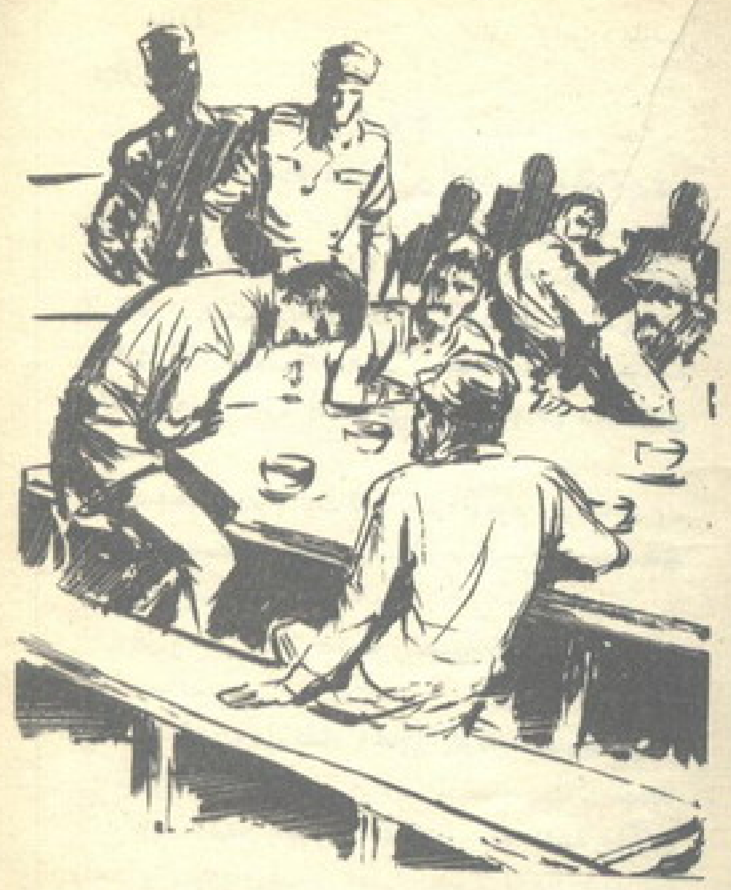
— إنها مهمتك يا صديقي .

ثم حدجه بنظرة ناريّة ، وهو يستطرد :

— إن مسيو ( مارسيل ) يمنحك هذا الراتب الشهري الضخم ، الذي يبلغ خمسة أضعاف راتبك لتفعل هذا .. أليس كذلك ؟

امتقع وجه الحارس ، وندّت من بين شفتيه ضحكة مضطربة ، وهو يغمغم :

— آه .. بالطبع يا صديقي .. بالطبع .


ورأى الجميع ( أدهم ) يتلوّى ألمًا ، وهو يمسك معدته بذراعيه ..

وفجأة .. ارتفعت فى المكان صرخة ألم قويّة ، والتفتت العيون كلها إلى مصدرها ، ورأى الجميع ( أدهم ) يتلوّى ألمًا ، وهو يمسك معدته بذراعيه ، فهتف الحارس فى جزع :

ـــ هل .. هل دسَسْتُ له السمّ فى القهوة ؟.. اسمع يا هذا .. إننى المسئول عن قاعة الطعام ، وأكره أن أتورّط فى مثل هذه الأمور و .....

قاطعه الحارس فى خشونة :

ـــ صَهْ يا رجل .. إننى لم أدسّ له سوى تلك المادّة ، التى أرسلها مسيو ( مارسيل ) ، وبنفس المقدار الذى أوصى به .

ثم استطرد فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـــ ولكن يبدو أن معدة صديقنا أضعف من أن تحتمل هذا .

حدَجه الحارس بنظرة متشكّكة ، ثم اندفع إلى قاعة الطعام ، صائحًا :

ـــ هيّا .. احملوه إلى المستشفى بلا إبطاء .. هيّا .

ووقف يتابع فى قلق باقى المساجين ، وهم يحملون ( أدهم صبرى ) إلى مستشفى السجن فى سرعة ، فى حين غمغم السجين فى سخرية :

ـــ لا فائدة أيها المصرى .. لن تغرب شمس اليوم إلا وأنت

جثة هامدة .. فلا أحد يمكنه أن يخالف أوامر ( مارسيل بيكر ) .

* * *

مضت نصف ساعة فقط ، قبل أن يعود ( أدهم صبرى ) من مستشفى السجن ، وقد بدا أكثر ضعفًا وتهالكًا من ذى قبل ، حتى أنه بَدا مُتَسلمًا تمامًا ، وهم يقودونه إلى قسم التنظيف ، حيث استقبله ( شارل ) بابتسامة شرسة ، تمتلئ بالكراهية ، كشفت عن صفّ أسنانه الأمامية المكسورة ، وانحنى سجين حجرة الطّعام على أذن ( شارل ) ، هامسًا فى خبث :

— هاهو ذا يعود إليك لقمة سائغة يا عزيزى ( شارل ) ، لا أظنك ستسمح له بالسخرية منك مرّة أخرى ، بعدما فعله بك هذا الصباح !

زمجر ( شارل ) فى خشونة وغضب ، وهو يغمغم :

— سأقتله .

أجابه السجين فى دهاء ، محاولاً إثارة حِقدِه وغضبه :

— لا أظنك تجرؤ .

ومضت عينا ( شارل ) بمزيج من الوحشية والثورة والغضب ، وهو يهتف :



— سترى .

هزّ السجين كتفيه فى سخرية ، ليشعل المزيد من أعصاب ( شارل ) الثائرة ، ثم اتجه فى هدوء إلى الخارج ، حيث استقبله حارس حجرة الطّعام ، وهو يسأله فى شغف :

— هل سيفعل ؟

أجابه السجين فى ثقة :

— لست أشك فى ذلك .. إن أمثال ( شارل ) ، من ضخام الأجساد وضعاف العقُول ، يفقدون سيطرتهم على عقولهم فى سُهولة أمام الغضب والكراهية ، ومن النادر أن يتنازل أحدهم عن ثأره .

عاد الحارس يسأله فى قلق :

— ولكن ماذا فعل ذلك المصرىّ فى المستشفى ؟.. أخشى أن يكونوا قد أجروا له عملية غسيل معوىّ ، فتخلّص من القهوة ، وما تحتويه من مادّة .

ابتسم السجين فى خُبث ، وهو يقول :

— لقد تأكّدت أنهم لم يفعلوا يا صديقى .. لقد كانت بعض التقلّصات المعويّة العاديّة ، ولم يحتج الأمر لأكثر من حقنتين صغيرتين ، ثم إن هذه المادة تُمتصّ بسرعة ، وتذهب إلى دمائه بعد تناولها بلحظات ، ولن ينقذه الغسيل المعوىّ منها .

واتسعت ابتسامته ، وهو يُردف فى ثقة :

ــ اطمئن يا صديقى .. سيلقى ذلك المصرى مصرعه ، بعد ساعة واحدة على الأكثر .

* * *

تظاهر ( شارل ) بالانهماك فى عمله ، وهو يختلس نظرات مفعمة بالكراهية إلى ( أدهم ) ، الذى بدا واهنًا متهالكًا ، وهو ينقل أكوام الملابس المبتلة إلى المكبس الضخم ، الذى يهبط ليعتصرها اعتصارًا ، فتلفظ ما بها من ماء ، قبل أن يرتفع المكبس مرّة أخرى ، وينقلها ( أدهم ) إلى عربة خاصّة ، يتولّى أمرها بعد ذلك سجين آخر ، ينقلها إلى آلة التجفيف ..

وفى كل لحظة تمضى ، كانت الكراهية تتصاعد وتتضاعف فى أعماق ( شارل ) ، وتمتزج بغضبه ، فتشتعل فى أعماقه نيران الثورة والسُخط ، حتى حانت لحظة ابتعدت فيها عيون كل الحرّاس عن الرجلين ( أدهم ) و( شارل ) ، وهنا ترك ( شارل ) عمله ، واندفع بكل قوته نحو ( أدهم ) ، فى اللحظة التى بدأ فيها المكبس الضخم هبوطه ..

كانت دفعة واحدة من جسد ( شارل ) الضخم ، تكفى



لإلقاء ( أدهم ) أسفل المكبس ، الذى سيحطّم عظامه ، ويطحن جسده طحنًا بلا شك ..

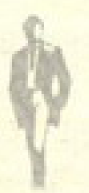
وارتفعت صيحات الفَزَع والدهشة من أفواه جميع العاملين فى قسم التنظيف ، مختلطة بصرخة ألم هائلة ، وصوت عظام تتحطّم ، فاندفع حارس حجرة الطعام إلى قسم التنظيف ، وهو يهتف :

ــ ماذا حدث ؟

استقبله رئيس حرّاس قسم التنظيف شاحب الوجه ، وهو يقول فى اضطراب :

ــ حادث بشع يا زميل .. لقد لقى أحد السجناء مصرعه ، لقد طحنه المكبس الكبير طحنًا .

* * *



# ٣ — دماء فى السجن ..

استقبلت ( منى توفيق ) النقيب ( حلمى ) ، أحد رجال مكتب المخابرات المصرى فى ( باريس ) ، بلهفة شديدة ، وهى تسأله :

— هل عثرت عليه يا ( حلمى ) ؟

بدا النقيب ( حلمى ) شديد القلق والشحوب ، وهو يلقى جسده على أقرب مقعد إليه ، فى منزل الرائد ( وليد ) ، ويغمغم فى لهجة آسفة :

— نعم .. لقد عرفت أين هو .

هتفت ( منى ) بكل ما يحمل فى جسدها من جزع ولوعة واضطراب ، وقلق :

— أين يا ( حلمى ) ؟.. أين المقدم ( أدهم صبرى ) ؟

أشاح ( حلمى ) بوجهه ، ليخفى ذلك الألم المرتسم فى ملامحه ، وهو يقول :

— فى السجن .. فى سجن باريس .

اتسعت عينا الرائد ( وليد ) ، وهو يحدق فى وجه ( حلمى ) غير مصدق ، فى حين غارت الدماء من وجه



( منى ) حتى بات شبيهًا بوجوه الموتى ، وتركت جسدها يسقط على أقرب مقعد إليها ، وهى تغمغم :

— كنت أعلم هذا .. كنت أعلم أنه قد تورط فى شىء ما .

اندفع ( وليد ) يسأله فى انفعال :

— وكيف حدث هذا ؟

قصّ ( حلمى ) عليهما ما توصّل إليه ، من أن ( سونيا ) قد اتهمت ( أدهم ) بسرقة منزلها ، والاعتداء عليها بالضرب ، وأعدّ له رجال الشرطة كمينًا ، بعد مكالمة من مجهول ، ونجح فى الإيقاع به ، وتم نقله إلى مركز الشرطة الرئيسىّ ، حيث تعرّفته ( سونيا ) فى عرض عام ، ثم نقله بعدها إلى سجن ( باريس ) ، تمهيدًا لمحاكمته ..

ولم يكد ( حلمى ) ينتهى من قصته ، حتى هتفت ( منى ) :

— ولكن كيف استسلم ( أدهم ) لهذا ؟.. لماذا لم يحاول الفرار ؟

قلّب ( حلمى ) كفّيه فى حيرة ، وهو يقول :

— لست أدرى .

ثم عقد حاجبيه ، وهو يستطرد فى قلق واهتمام واضحين :

— ولكنهم يقولون إنه كان يبدو مضطربًا مشوّشًا ، عاجزًا عن التحرّك والتفكير ، كما لو أنه واقع تحت تأثير مخدّر قوى .

التمعت عينا ( منى ) لحظة ، ثم قفزت واقفة ، وهي تهتف :

— يا إلهي !!.. أراهن أن هذا ما حدث بالفعل ، فمن المستحيل أن يستسلم ( أدهم ) لكل ذلك ، ما لم يكن عاجزًا عن مواجهته .

واجتاحها انفعال شديد ، وهي تستطرد ملوّحة بكفّيها :

— لقد دسّوا له هذا المخدّر بوسيلة ما ، وهذا يعني أنه يتعرّض لخطر بالغ ، فليس أهون عليهم من التخلّص منه داخل السجن ، وهو تحت تأثير المخدّر .

وبلغ انفعالها ذروته ، وهي تهتف :

— لابدّ أن نسعى بكل قوّتنا لإنقاذه ، قبل أن ينجحوا في قتله .

عقد ( وليد ) حاجبيه في شدة ، في حين أطرق ( حلمي ) برأسه ، وهو يغمغم في حزن وألم شديدين :

— ما لم يكن هذا قد حدث بالفعل .

كان من الممكن أن تمرّ عبارة ( حلمي ) كجملة اعتراضية عادية ، لولا تلك النبرة الدامعة التي حملتها ، والتي جعلت ( وليد ) و ( منى ) يتطلّعان إليه في شحوب وذهول ، قبل أن



يتسلّل صوت ( منى ) عبر شفتيها باهتًا ، مختنقًا بالقلق والجزع ، وهي تقول :

— ماذا تعني ؟.. ماذا حدث ؟

تحوّلت تلك النبرة الدامعة في صوته إلى قطرة دمع حقيقية ، انسابت من عينيه في سكون ، وهو يقول في صوت حمل كل حزن الدنيا ومرارتها :

— لقد لقي أحد السجناء مصرعه في السجن منذ قليل ، ويبدو أنه .. أنه .....

صرخت ( منى ) :

— ( أدهم ) ؟!.. هذا مستحيل !! مستحيل !! مستحيل !!

* * *

بذل حارس حجرة الطعام جهدًا خارقًا ؛ ليخفي سعادته بنجاح الخطة ، وهو ينقّل بصره بين الحرّاس الذين يتحرّكون في كل مكان ، في عصبية واضحة ، والمساجين الذين التفّوا في حلقة واسعة ، وكل منهم يروي للآخرين ما شاهده مما حدث ، والكل يشتركون في صفة واحدة .. الوجوه الشاحبة ، والانفعال الشديد ..

وهزّ حارس حجرة الطعام رأسه ، وهو يتصنّع الأسف ، قائلاً :

ـــ يا للمأساة !!.. إنها أوّل مرّة يحدث فيها هذا هنا .

أجابه رئيس الحرّاس بعينين زائغتين ، ووجه شاحب :

ـــ إنه أبشع حادث رأيته فى حياتى .. لقد طحنته الآلة طحنًا .. صدّقنى ، إن هذا المشهد لن يُمْحَى من ذاكرتى أبدًا ، ولا تلك الصرخة التى أطلقها قبل مصرعه .

كان من الواضح أن المشهد سيبدو بشعًا للغاية ، إلّا أن حارس حجرة الطعام لم يستطع منع عينيه من التطلّع إلى المكبس ، ثم لم يلبث أن شعر بقلبه ينتفض ، حينما وقعت عيناه على جسد مطحون ، أشبه بكومة من لحم مفرىٍ ، وعظام مفتتة ، وسط بركة من الدماء ، ميّز بينها فى صعوبة زىّ السجناء الرمادىّ ، أو ما تبقّى منه ..

وعاد رئيس الحرّاس يقول فى اضطراب :

ـــ إننى لم أعد أجرؤ على الاقتراب من هذا المكبس .. لقد اغتصر المسكين على الرّغم من قوّته وعنفوانه .

عاد حارس حجرة الطعام يتصنّع الأسف والإشفاق ، وهو يغمغم :



ـــ من المُحزن أن هذا المسكين لم يمض على وجوده فى السجن إلا يوم واحد .

حدّق رئيس الحرّاس فى وجهه بنظرة عجيبة ، كأنما كان يتطلّع إلى معتوه أو مخبول ، وهو يهتف :

ـــ لم يمضِ ماذا ؟.. أىّ هُرَاء تقول ؟

ارتبك الحارس ، وهو يغمغم :

ـــ هذا صحيح .. إن ذلك المصرىّ لم يدخل إلى السجن إلّا البارحة فحسب .

صاح رئيس الحرّاس فى حَنَق :

ـــ مصرىّ .. أى مصرىّ هذا ؟

اتسعت عينا الحارس ، وهو يتمتم فى تلعثم كامل :

ـــ القتيل !.. أليس .. أليس هو الذى ..... ؟

قاطعه رئيس الحرّاس فى حِدّة :

ـــ أى شيطان أوحى إليك بهذه الفكرة ؟.. إن الذى لقى مصرعه تحت المكبس هو ( شارل ) .. ( شارل ) الخنزير الضخم .

جحظت عينا الحارس فى ذُعر وذهول ، وحدّق فى وجه رئيس الحرّاس لحظة ، ثم اندفع يقتحم حلقة المساجين ،

وتجمّدت الدماء فى عروقه ، وهو يحدّق فى وجه ( أدهم ) ، الذى يتوسّط الحلقة ، وقد بدا يحمل نفس الاضطراب والتشوّش العقلىّ ، وهو يقول للآخرين :

— لست أدرى ما حدث !؟.. لقد انحنيت لألتقط بعض الثياب المبتلة ، حينما شعرت به يندفع إلى جوارى ، ويسقط تحت المكبس ، ولقد حاولت إنقاذه ، ولكن المكبس الضخم كان أسرع منّى .. صدّقونى .. لست أدرى ماذا حدث بالضبط !

* * *

اتسعت عينا الحارس فى مزيج من الذعر والذهول ، وهو يغمغم :

— مستحيل !! مستحيل !!

واستدارت إليه عيون السجناء فى دهشة ، ولكن عينيه تركّزتا على عينى ( أدهم ) وخُيّل إليه أنه يلمح فيهما نظرة ساخرة ، قبل أن تعودا لاضطرابهما ، فعاد أدراجه ، وهو يترنّح من فرط المفاجأة ، وغادر قسم التنظيف ، وتعلّق بذراع السجين المسئول عن وجبات الطعام ، وهو يقول فى صوت متحشرج مرتجف :



— لقد نجا .. إننى لم أرَ من هو أكثر حظًا منه !.. ( شارل ) هو الذى قُتِل .

اتسعت عينا السجين ، وهو يغمغم :

— يا للشيطان !!

تشبّث الحارس بذراعه ، وهو يهتف فى ذُعر :

— ماذا نفعل ؟.. ماذا نفعل ؟

أبعد السجين كفه فى ازدراء ، وهو يقول فى جِدّة :

— لن نتوقّف .. لقد أمر مسيو ( مارسيل ) بقتله قبل الغروب ، ولن يمكننا مخالفة أوامره .

هتف الحارس :

— ولكن كيف ؟

برقت عينا السجين فى شراسة ، وهو يقول :

— سنتجاهل شروط السّرّيّة والتخفّى .. سنقتل ذلك الشيطان المصرى المحظوظ على أى نحو ، ودون تردّد .

عاد الحارس يهتف فى ذُعر :

— كيف ؟

حدجه السجين بنظرة احتقار ، وهو يقول :

— بالخناجر أيها الرجل .. سنمزّق ذلك الشيطان المصرى بخناجرنا حتى الموت .

* * *

# ٤ ـ نِصال الموت ..

ألقى ( مارسيل بيكر ) بسمّاعة هاتفه فى سخط واضح ، فسألته ( سونيا ) فى عصبية :

ـ ماذا هناك ؟

أشاح بوجهه ، وهو يقول فى حَنَق وغضب :

ـ لقد أفلت ذلك الشيطان المصرىّ من أوّل محاولة لقتله ، بمصادفة عجيبة .

أطلقت ( كلوديا ) ضحكة عابثة ساخرة ، وهى ترتشف كأس ( الكونياك ) ، التى تحملها بين راحتيها ، وغمغمت فى لهجة أقرب إلى الإعجاب :

ـ ياله من رجل !!

حدجتها ( مارسيل ) و ( سونيا ) بنظرة حانقة ، فيما هتف الأوّل فى غضب :

ـ لقد حدث ذلك بالمصادفة البحتة يا ( كلوديا ) .

غمغمت ( سونيا ) فى شك :

ـ مصادفة ؟.. أأنت واثق من أنه لم يستعد قدرته على القتال ؟



عقد حاجبيه ، وهو يقول فى جدّة :

ـ تمام الثقة ، إن المادة التى أضيفت إلى قهوته هذا الصباح قويّة ، لا يزول أثرها قبل عشر ساعات .

سألته فى توتّر :

ـ ألا يمكنه أن ينهى تأثيرها بتقيُّئها مثلًا ؟

هزّ رأسه نفيًا فى عصبية ، وهو يقول :

ـ مستحيل !! إنها تتغلغل فى عروقه خلال ربع ساعة فقط .

عادت تغمغم فى شك :

ـ ربّما ..

ثم سألته فى قلق :

ـ هل يمكنك أن تعلم ما الذى فعله ( أدهم صبرى ) ، منذ تناول قهوة الصباح ، وحتى حادث نجاته من محاولة القتل ؟

هتف وكأنه يستنكر سؤالها ويرفضه :

ـ بالطبع .. يمكننى أن أحصى دقّات قلبه أيضًا ، قبل أن يتوقّف عن النبض .

ورفع سمّاعة هاتفه بحركة حادّة ، وهو يطلب رقم أحد رجاله فى السجن ، فعقدت ( سونيا ) حاجبيها ، وهى تقول

— دَعْهم لا يهملون تفصيلًا واحدًا ، مهما بدا لهم تافهًا عديم القيمة .

وتنهدت فى حَنَق ، قبل أن تستطرد فى سخط :

— لابد أن نعلم ماذا فعل هذا الشيطان !

* * *

تطلّع السجين ، الذى يعمل لحساب ( مارسيل ) ، فى حَنَق نحو ( أدهم ) ، الذى انتحى ركنًا قَصِيًّا فى فناء السجن ، شاردًا متهالكًا ، بعد أن انتهت إدارة السجن من إجراء التحقيق اللازم معه ، إثر حادث مصرع ( شارل ) ، وقال موجّهًا حديثه لأربعة رجال يحيطون به :

— أريد منكم أن تقوموا بعملية سريعة ونظيفة .. إنه يجلس وحده هناك ، والمادّة التى تناولها فى قهوته تجعله ضعيفًا واهنًا ، مشوّش الفكر ، وعليكم أن تحيطوا به ، ثم تطعنوه بنصال خناجركم فى آن واحد ، وتبتعدون فى سرعة ، قبل أن يلحظ أحد ما حدث .

غمغم أحد الرجال الأربعة فى لهجة ساخرة :

— سأفصل رأسه عن جسده لو أردت ، مقابل ألف فرنك إضافية .



عقد السجين حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

— ستحصل على ضِعْفها لو تمّت العملية بنجاح ، دون الحاجة إلى فصل رأسه .. اطعنه فى عنقه فحسب ، وعلى الآخرين أن يطعنونه فى قلبه ومعدته ومؤخرة عنقه .. وليقم كل منكم بعمله وحده ، ولابدّ أن تتمّ الطعنات الأربع فى وقت واحد .

غمغم رجل آخر فى تلذذ ، وكأنما يجد متعته فى إراقة الدماء :

— سنفعل يا صديقى .. اطمئن .

واتجه الأربعة بأجسادهم الضخمة فى هدوء ، إلى حيث يجلس ( أدهم ) ، الذى تطلّع إليهم فى ذهول ، وهم يحيطون به ، وفجأة انتزع كل منهم خنجره ، والتمعت نصال الموت الأربعة ، وهى تتجه نحو جسد ( أدهم ) فى سرعة ، وبرقت عينا السجين فى ظفر ..

* * *

استمع ( مارسيل ) فى اهتمام إلى تقرير حارس السجن ، عن تحركات ( أدهم ) ، ثم وضع سمّاعة الهاتف ، والتفت إلى ( سونيا ) ، قائلًا :

— لم يحدث شىء ذو قيمة يا عزيزتى ( برجيت ) ، فلقد تناول المصرى قهوته ، التى تحوى المخدِّر ، ثم أصابه بعض المغص المعوى ، ونقل إلى مستشفى السجن و ......

قاطعته ( سونيا ) فى حدّة :

— مستشفى السجن ؟!.. هل أجروا له غسيلًا معويًا ؟

ابتسم ، وهو يقول :

— لا يا عزيزتى ( برجيت ) .. إنهم لم يفعلوا ، وما كان ليجدى ، وإنما فحصه طبيب مستشفى السجن ، وأعطاه حقنتين من مضادات التقلص فحسب .

ارتسم الجزع على وجه ( سونيا ) ، وهى تقول :

— وهل عرفت نوع المادة التى حقنه بها الطبيب ؟

أطلق ( مارسيل ) ضحكة هادئة ، وهو يقول :

— اطمئنى يا عزيزتى ( برجيت ) .. لقد استعلمت عن هذه النقطة بالذات .. إن ( أدهم صبرى ) لم يقترح نوع المادة ، فالطبيب هو الذى فعل ، ولقد حقنه بمادة مضادة للتقلُّص بالفعل .

عادت ( سونيا ) تسأله ، وقد تحوّلت لهجتها إلى العصبيّة المفرطة :



— ما نوع المادة يا ( مارسيل ) ؟

تطلّع إليها ( مارسيل ) فى دهشة ، وكذلك فعلت ( كلوديا ) ، بعد أن تخلّت عن ارتشاف ( الكونياك ) من كأسها ، ثم لم يلبث ( مارسيل ) أن أجابها فى حنق :

— مادّة عادية يا ( برجيت ) .. أبسط وأرخص مادّة لمعالجة التقلُّصات المعويّة .. ( الأتروبين ) .

اتسعت عينا ( سونيا ) فى مزيج من الذُّعر والسخط ، وهى تهتف :

— حقنتين من ( الأتروبين ) ؟.. يا للشيطان !!

عقدت ( كلوديا ) حاجبيها ، وهى تتطلّع إليها فى دهشة ، فى حين قفز ( مارسيل ) من مقعده ، وهو يهتف فى توتُّر :

— ماذا تعنين ؟

لوّحت بذراعيها فى سخط ، وهى تهتف فى مرارة :

— لقد خدع الجميع .. خدعهم بمعلومة بسيطة ، يعلمها كل رجل فى أى جهاز مخابرات فى العالم .. إن ( الأتروبين ) ليس مجرّد مضاد للتقلُّص فحسب .. إنه أيضًا منبه للقشرة المخية ، ومحفِّز للعقل :

شحب وجه ( مارسيل ) ، وهو يغمغم فى ذعر :

ــ يا للشيطان !!.. هل تعنين ..؟

صاحت فى مزيج من اليأس والمرارة :

ــ نعم .. هذا ما أعنيه .. لقد خدعنا ( أدهم صبرى ) اللعين .. إنه لم يعد ذلك الضعيف المشوّش الذهن الذى أردناه .. لقد استعاد قواه وقدراته كلها .. لقد أصبحت تحارب شيطانًا يا ( مارسيل ) .. شيطانًا يخشاه الموت نفسه ..

* * *

لم تكن المفاجأة من نصيب ( سونيا ) و ( مارسيل ) و ( كلوديا ) وحدهم ، ولكن الجزء الأكبر منها كان من نصيب هؤلاء الأوغاد الأربعة ، الذين تكاتفوا لطعن ( أدهم ) ، فى أجزاء متفرّقة من جسده ، بنصالهم التى تحمل موتًا بلا رحمة ..

لقد استلّ كل منهم خنجره ، وهوَى به ليطعن جسد ( أدهم ) ، الذى بدا متراخيًا مستسلمًا ..

ثم انقلب كل شىء فجأة ، على نحو مذهل ..

تلاشى كل الخمول والتراخى ، اللذين يبدوان على ملامح ( أدهم ) ، كفقاعة من الصابون ، انفجرت دون أن تترك



أثرًا ، وتحوّل ذلك الخمول المُتراخى بغتة إلى كتلة من النشاط والحيوية والقوّة ، وهو ينزلق من مقعده بحركة سريعة ، رشيقة ، مذهلة ، متفاديًا نصال الموت الأربعة ، التى اختل توازن أصحابها من فرط المفاجأة والذهول ، ولم يكد كل منهم يعتدل مرة أخرى ، حتى صك مسامعهم صوت ( أدهم ) الهادئ الساخر ، وهو يقول فى قوّة وبأس :

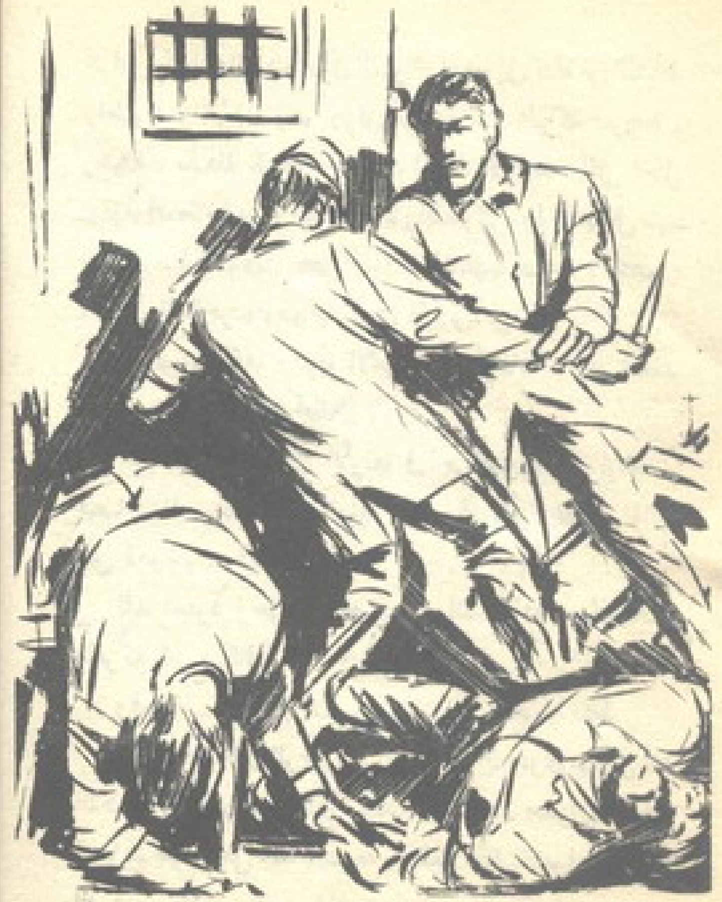
ــ ليس هكذا يكون الأمر أيها الأوغاد .. أين تعلّمتم الطعن ؟.. فى روضة أطفال ؟

استدار إليه الرجال الأربعة فى حركة حادّة ، وارتفعت قبضاتهم الممسكة بمقابض خناجرهم ، وقد تغلّب غضبهم الهائل على ذهولهم ، ولكن هيهات ..

لقد استردّ رجل المستحيل عنفوانه وقوّته ، وأصبحت المعركة غير متكافئة ..

وفجأة .. تحوّل ( أدهم صبرى ) إلى إعصار مدمّر ..

وتحطّم فك أوّل الرجال الأربعة ، قبل أن يدرى من أين أتته اللكمة ، وتهشّم أنف الثانى ، وقد خيّل إليه أن جدران السّجن كلها قد هوَت على أنفه مجتمعة ، وطعن الثالث الهواء ، ولم يجد الفُرصة ليعتدل ، فقد غاصت قدم ( أدهم ) فى معدته ،



وفجأة .. تحوَّل ( أدهم صبرى ) إلى إعصار مدمِّر .. وتحطَّم فك أوَّل الرجال الأربعة ، قبل أن يدرى من أين أتته اللكمة ..

وأجبرته على مزيد من الانحناء ، قبل أن تتلقَّى مؤخرة عنقه ضربة أشبه بالقنبلة ، جعلته يطلق خوارًا كالثور ، قبل أن يتمدَّد على وجهه فاقد الوعى ..

وقفز الرابع إلى الخلف ذاهلًا ، ثم لم يلبث أن نفض ذهوله ، وأطلق صرخة غاضبة ، وهو ينقضّ على ( أدهم ) بخنجره ، ولكن يد ( أدهم ) اليسرى ارتفعت فى سرعة ، وأمسكت معصم الرجل الأيمن ، ثم انطلقت قبضته اليمنى لتغوص فى معدة الرجل ، الذى أراد أن ينثنى من فرط الألم ، ولكن تلك القبضة التى أصابت معدته ، قفزت فجأة إلى فكه ، وهوت عليه كصاعقة ، قبل أن يسقط فاقد الوعى ..

وارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى ( أدهم صبرى ) ..

لقد انتخبه القدر لمواصلة الحياة هذه المرَّة ..

ولمواصلة القتال ضد ( ملائكة الجحيم ) ..

* * *

# ٥ ــ الهروب من الخطر ..

وقف ( أدهم ) هادئًا فى الفناء ، إلى جوار الرجال الأربعة الفاقدى الوعى ، فى حين اندفع الحرّاس والمساجين من كل صوب ، نحو منطقة المعركة ، وصوّب أحد الحرّاس بندقيته نحو ( أدهم ) ، وهو يهتف :

ــ ماذا فعلت أيها التعِس ؟

أجابه ( أدهم ) فى برود ، وهو يشير إلى الخناجر الأربعة ، الملقاة أرضًا :

ــ هم التُّعساء لا أنا .. لقد كنت أدافع عن حياتى فحسب .

أخذ الحارس ينقّل بصره بين ( أدهم ) ، والأجساد الأربعة الضخمة ، المتوسِّدة أرض الفناء ، فى ذهول ، فى حين عقد ( أدهم ) ساعديه أمام صدره ، فبدا عملاقًا مفتول العضلات ، شامخ الجبين ، وهو يسترجع ما حدث فى الساعات الماضية ..

لقد كشف ، بعد أن ارتشف قهوة الصباح ، أنه ضحيّة لمادّة مخدِّرة ، تشوِّش تفكيره ، وتوهن قوّاه ، وحاول أن يعثر



على مهرب ، قبل أن يحاول رجال ( مارسيل ) قتله داخل السجن ، ولكن اضطراب ذهنه وتفكيره حالا بينه وبين ذلك ..

وهنا استجمع إرادته كلها ..

استجمع من أعماقه إرادة فولاذية جبّارة ، جعلته يحمل دوْمًا لقب ( رجل المستحيل ) ..

واسترجع ما تعلّمه فى سلك المخابرات العامّة ، عن العقاقير ووسائل مقاومتها ..

كان ذلك يستلزم منه جهدًا رهيبًا ، ولكنه فعله ، حتى تذكّر أمر ( الأتروبين ) ، كمادة منشطة للعقل ، وهنا تظاهر بأنه يعانى آلامًا وتقلّصات معويّة حادّة ، وتركهم ينقلونه إلى مستشفى السجن ، ويدفعون ( الأتروبين ) ، الذى يسعى إليه ، فى عروقه ، وهم يتصوّرون أنهم إنما يعالجون تقلّصات معدته فحسب ، دون أن يدرى أحدهم أنهم ينزعون الوهن والتشوُّش من جسده وعقله أيضًا ..

كانت المخاطرة الوحيدة فى هذه اللعبة ، هى أن يكون طبيب مستشفى السجن من رجال ( مارسيل ) ، ولكنه ــ لحسن الحظ ــ لم يكن كذلك ..

وشعر ( أدهم ) بجفاف شديد فى حلقه ، وبصعوبة فى التطلّع إلى الضوء المباشر ، وبشعور من التوهج فى جسده ووجهه ، ولكنه لم يبال ، فقد كان هذا هو الثمن الذى يدفعه من تسرى مادة ( الأتروبين ) فى عروقه ، ولقد بدت له هذه الأعراض ، على الرغم من متاعبها ، مبهجة ، لأنها كانت الدليل على أنه قد استعاد صفاء ذهنه ، وسرعة استجابته المعهودة ..

ولقد اختبر ذلك حينما هاجمه ( شارل ) ، فى قسم التنظيف ..

لقد لمح هجوم ( شارل ) بطرف عينيه ، وسمع وقع أقدامه وهو يندفع نحوه ، فانحنى فى سرعة ، وترك ( شارل ) يصطدم به ، ويهوى أسفل المكبس ..

ولم يكن يكذب حينما قال إنه قد حاول إنقاذه ، فقد حاول بالفعل ، ولكن المكبس كان أسرع منه ، وكأنما قرّر القدر أن يدفع ( شارل ) ثمن كل جرائمه السابقة ، فى هذه اللحظة بالذات ..

ورأى ( أدهم ) ألا يكشف عن يقظته على الفور ، فتظاهر بأنه مازال واهنًا ، مضطربًا ، مشوّشا ، حتى هاجمه هؤلاء الأوغاد الأربعة ، فلم يعُد هناك مفرّ من إعلان الأمر ..



توقّفت ذكرياته عند هذه النقطة ، حينما سمع أحد الحرّاس يهتف فى صرامة :

ــ المدير يطلب ذلك المصرى فى مكتبه .

دفعه الحرّاس إلى مكتب المدير ، وأحدهم يقول فى حَنَق :

ــ لم يمض على قدومه إلى هنا إلّا يوم واحد ، وهاهو ذا يثير المتاعب واحدة بعد أخرى .

سار معهم ( أدهم ) إلى حجرة مدير السجن فى هدوء ، ووقف أمام مكتب هذا الأخير فى برود ، يتطلّع إليه ، وهو يقول له فى لهجة ساخطة :

ــ اسمع يا مسيو ( أدهم ) .. إنك لست هنا فى قاعة للرياضة ، أو فندق فاخر .. إنه سجن له قواعده ولوائحه إن .....

لم يستمع ( أدهم ) إلى باقى حديث المدير ، فهو بطبعه يكره ذلك النوع من اللوم الروتينى ، ثم إنه كان يشعر بالحنق من نفسه ، فقد تعمّق شعوره بأنه كان شديد التخاذل فى هذه المهمّة ، مما جعلها تتعقّد وتتشابك ، وتزداد تخبطًا وصعوبة مع كل خطوة يخطوها ، فيجد نفسه فى النهاية سجينًا ، يعانى محاولات رجال ( مارسيل ) للتخلّص منه ، ويضيع الكثير من

الوقت فى صراعات جانبية ، دون أن يصل إلى هدفه الأساسى ، وهو القضاء على ( ملائكة الجحيم ) ..

وتحوّل حنقه على نفسه إلى غضب جارف ، سرى فى عروقه كالحُمَم المتأجّجة ، والتهب له عقله وقلبه ، ووجد نفسه يهتف فى أعماقه :

ـــ ماذا أصابك يا ( أدهم ) ؟.. هل تقدّمت بك السن ، فصرت متخاذلاً متهاونًا ؟.. لماذا تكتفى بلعب دَوْرِ المدافع ؟.. إنك فى ( باريس ) ، فلتعمل إذن بالقاعدة التى وضعها ( نابليون بونابرت ) ، إمبراطور ( فرنسا ) السابق .. إن الهجوم هو خير وسيلة للدّفاع .. لابدّ لك من مغادرة هذا السجن ، ومواصلة مهمتك ، وليذهب كل ما عدا ذلك إلى الجحيم .. لم يعُد لديك ما تخسره .. لقد انقلبت ( فرنسا ) كلها ضدك ، بشرطتها وعصاباتها ، وبالمدافعين عن القانون والمخالفين له .. هيّا يا ( أدهم ) .. انْفُضْ عنك كلَّ هذا التراخى ، وانطلق .

كان مدير السجن ما زال يهتف فى غضب وسخط ، قائلاً :

ـــ إذا كنت ترغب فى قضاء أقل وقت ممكن هنا يا مسيو ( أدهم ) ، فعليك أن تلتزم بكل نظم السجن وقواعده ،



فصحيح أننا نكره المشاغبين ، ولكننا نضطر لإبقائهم معنا لوقت أطول و .....

قاطعه ( أدهم ) فجأة فى هدوء :

ـــ اطمئن يا سيّدى .. إننى لا أنوى البقاء هنا للغد .

اتسعت عينا المدير ، وهو يقول :

ـــ ماذا تقول ؟

وفجأة .. انحنى ( أدهم ) ، ودار على عقبيه فى رشاقة مذهلة ، وركل بندقية أحد الحارسين ، اللّذَيْن يقفان خلفه ، ثم لكم الحارس الآخر لكمة ساحقة ، جعلته يسقط فاقد الوعى ، دون أن ينبس ببنتِ شَفَة ، ومال بجسده إلى الخلف فى مرونة ، ليتفادى لكمة من الحارس الأول ، وارتدّ كحبل من المطّاط ، ليلكم الحارس على أنفه مباشرةً ، فألقاه إلى جوار زميله ، وحاول المدير أن يقفز ليضغط جرس الإنذار ، المثبّت فوق مكتبه ، ولكنه رأى فوّهة بندقية أحد الحارسين مصوّبة إلى رأسه ، وسمع ( أدهم ) يقول فى هدوء :

ـــ يبدو أنك لم تحسن سماع عبارتى يا سيادة المدير .. كنت أقول إننى لا أنوى البقاء هنا للغد .

* * *

شحب وجه مدير السجن ، وتهالك على مقعده ، وهو يغمغم فى خفوت :

ـــ إنك تُقدِمُ على مخاطرة رهيبة .. هل تعلم عقوبة محاولة الفرار من السجن ؟

هزَّ ( أدهم ) كتفيه فى لامبالاة ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـــ هل تعلم خطورة عدم إطاعة أوامرى ؟

هتف المدير فى توتُّر :

ـــ إذا كنت تظن أننى سأعاونك على الفرار من هنا ، فأنت واهم .

اتسعت ابتسامة ( أدهم ) الساخرة ، وهو يقول :

ـــ لم يخطر ببالى قطُّ ، فلقد قرَّرت منذ لحظات ألا أنتظر أى نوع من المعاونة .

تطلَّع إليه المدير فى دهشة ، وتضاعفت دهشته حينما انقلبت لهجة ( أدهم ) إلى لهجة صارمة مخيفة ، وهو يسأله :

ـــ ما اسم حارس البوَّابة ؟

أجابه المدير فى تلقائية :

ـــ ( جونيه ) .



ثم لم يلبث أن استدرك فى حنق :

ـــ ولا تنتظر منّى معلومة أخرى زائدة ، حتى ولو أطلقت النار على رأسى .

بدت له ابتسامة ( أدهم ) غامضة ، وهو يقول :

ـــ اطمئن أيها المدير .. هذا يكفينى .

ثم التقط سمّاعة هاتف المدير ، الذى اكتنفه ذهول هائل ، حينما سمع صوته يخرج من بين شفتى ( أدهم ) ، الذى قال عبْر الهاتف فى صرامة :

ـــ صِلْنِى بالبوّابة .

اتسعت عينا المدير فى ذهول جارف ، فقد طابق ذلك الصوت ، الذى خرج من بين شفتى ( أدهم ) ، صوته هو بدقّة مذهلة ، حتى لقد تصوّر أنه هو الذى يلقى ذلك الأمر ، بأسلوبه ولهجته ..

واستمرّ ذهوله ثانية واحدة ، قبل أن يقفز من مقعده صائحًا :

ـــ أيها الشيطان !! إننى لن أسمح لك .

وفجأة .. تلقّى فكه لكمة محكمة ، أعادته إلى مقعده فاقد الوعى ، فى حين غمغم ( أدهم ) فى أسف :

ثم التقط سمّاعة هاتف المدير ، الذى اكتنفه ذهول هائل ،
حينما سمع صوته يخرج من بين شفتى ( أدهم ) ..

ـ لقد اضطررتنى لذلك أيها المدير .

ثم عادت حنجرته المرنة تستعيد صوت المدير ولهجته ، وهو يقول فى صرامة :

ـ أنا المدير يا ( جوتيه ) .. سيأتيك الحارس الجديد ( ديلون ) الآن ، أعطه سيّارة قويّة ، ودَعْه يذهب ، فقد أرسلته فى مهمّة خاصّة إلى إدارة الأمن العام ، وأريد منه أن يصل إلى هناك فى سرعة .

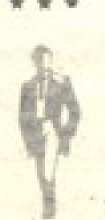
أجاب ( جوتيه ) فى احترام :

ـ كما تأمر يا سيادة المدير .

وهنا وضع ( أدهم ) سمّاعة الهاتف ، وبدأ ينزع ثياب أحد الحارسين فى سرعة .

لقد حانت لحظة العَوْدة للقتال ..

* * *




## ٦ — وعاد العملاق ..

كان مدير المخابرات المصرية يبدو شديد الاهتمام والقلق ، وهو يسأل النقيب ( مدحت ) :

— إذن فقد طلب اللواء ( حسن الغندور ) رؤية التصميمات مرّة أخرى ، هل أبقاها معه ؟.. هل طلب أن يبقى وحده مع التصميمات ؟

هزّ ( مدحت ) رأسه نفيًا فى حَيْرة ، وهو يقول :

— أبدًا ياسيِّدى .. لقد قام بفحصها أمام خبير التصميمات ، ومدير مكتبه ، وناقش الخبير فى بعض التعديلات التى أُجْرِيَت ، ثم أعطاه التصميمات ، وعاد يُزاول عمله فى هدوء .

عقد مدير المخابرات حاجبيه فى حَيْرة ، وهو يغمغم :

— عجبًا !!..

وأخذ يقطع مكتبه جيئة وذهابًا ، وهو يزوى مابين حاجبيه ، ويعقد كفّيه خلف ظهره ، ثم توقّف أمام نافذة حجرته طويلًا ، كعادته كلما استغرقه التفكير فى أمر غامض محيّر ، وأخيرًا التفت إلى ( مدحت ) ، قائلًا :



— أخشى أن نكون قد أسأنا تفسير الموقف يا ( مدحت ) .

أسرع ( مدحت ) يقول فى توتُّر :

— ولكن حادث الفندق كان مقصودًا ياسيِّدى ، ولابدّ أنه يرمى إلى شىء ما .

مطّ مدير المخابرات شفتيه ، وهو يقول :

— بلا شكّ ، ولكن ماذا ؟.. ماذا جعلهم يفعلون هذا ؟.. وما ذلك السرّ الغامض الذى يحمله اللواء ( حسن الغندور ) ؟..

* * *

عاد الجاسوس الذى ينتحل شخصية اللواء ( حسن ) إلى منزل هذا الأخير(*) ، حيث استقبلته زوجة اللواء ( حسن ) الحقيقى ، وهى تقول فى قلق :

— كيف حال العمل اليوم ؟

أجابها فى اقتضاب :

— بخير .

---

(*) راجع الجزء الثانى (ملك العصابات).. المغامرة رقم (٦٢).

ثم أسرع إلى حجرة مكتبه ، فتعلقت الزوجة بذراعه ، وهى تسأله فى حزن :

— ماذا بك يا ( حسن ) ؟

التفت إليها فى هدوء ، وهو يقول :

— لا شىء .. ما الذى دفعك لهذا السؤال ؟

غمغمت فى تردُّد :

— إنك .. إنك تبدو مختلفًا .. منذ عودتنا من عرض الأزياء أمس .

عقد الجاسوس حاجبيه فى قلق ، فلقد كان يتصوَّر أنه يؤدِّى دور اللواء ( حسن ) فى براعة فائقة ، بعد ثلاثة شهور من التدريبات الشاقَّة المكثَّفة ، ولكنه تنبَّه الآن إلى وجود قصور رهيب فى الخطة .. قصور يتعلَّق بحياة بديله الشخصية ..

لقد درس هو طبيعة اللواء ( حسن ) وشخصيته ، من الجانب الذى يراه الجميع ، ألا وهو جانب العمل ، أمَّا حياته الشخصية فى منزله ، وبين زوجته وأبنائه ، فهى جانب آخر من شخصيته ، تستحيل دراسته ، مادام من المستحيل أن يشارك أحد المقرَّبين منه فى العملية ..



وهذا يعنى أن العمليَّة كلها تعرَّض للخطر ، وعليه أن يفلت من هذا القصور بسرعة ..

وابتسم فى وجه زوجة اللواء ( حسن ) ، محاولًا تقليد ابتسامة هذا الأخير وصوته وأسلوبه ، وهو يغمغم :

— لا عليك يا زوجتى الحبيبة .. إنها بعض متاعب العمل فحسب .

تطلَّعت الزوجة إلى وجهه فى دهشة ، وخُيِّل إليه أن عينيها قد حملتا الكثير من الشك والرِّيبة ، مع لمحة من الذُّعر ، قبل أن تُطرق بوجهها وتصمُت لحظة ، ثم تسأله فى هدوء :

— هل ستزاول بعض العمل فى مكتبك ؟

ابتسم وربَّت على كتفها ، وهو يقول :

— نعم .. أنت تعلمين تكدُّس العمل .

تردَّدت لحظة ، أو هكذا خُيِّل إليه ، قبل أن تعود لتسأله فى هدوء :

— هل أعدّ قدح القهوة كالمعتاد ؟

ابتسم قائلًا :

— بالطبع .

ثم تركها ، وانطلق إلى حجرة مكتب اللواء ( حسن ) ،

وأغلق الباب خلفه فى إحكام ، وزفر فى عمق ، لتجاوزه هذه المشكلة ، ثم جلس خلف المكتب ، وفتح أحد أدراجه الجانبية ، والتقط منه ورقة ضخمة مطوية ، فردها أمامه ، وتطلع إليها فى اهتمام ، ثم تناول قلمه ، وبدأ يضيف إلى الرسم التخطيطى ، الذى يملؤها ، بعض الخطوط والتفاصيل فى سرعة ومهارة ، وهو يشعر بالثقة والظفر ، فقد تم تدريبه على نحو خاص ، بحيث يمكنه إدراك التعديلات الموجودة فى التصميمات بمجرد النظر ، وإضافتها إلى نسخة التصميمات التى يحملها بنفسه ، حتى لا يتعرض لمخاطر تصوير التعديلات ، وما يستتبعه من إثارة للشك ..

واستغرق منه هذا العمل ساعة كاملة ، انتهى بعدها من إضافة كل التعديلات إلى التصميمات الرئيسية ، ثم التقط من درج مكتبه آلة تصوير دقيقة ، أسرع يلتقط بواسطتها عدة صور للتصميمات بعد التعديل ، وبعدها مزق التصميمات ، وجمعها فى سلة المهملات ، ثم أشعل فيها النار ، والتقط من آلة التصوير ذلك الميكروفيلم ، الذى يحوى الصور ، وحطم آلة التصوير ، وقام بفتح النوافذ ، ليتخلص من دخان الأوراق المحترقة ، ثم استرخى على مقعده ، وارتسمت على شفتيه



ابتسامة ظافرة ، وهو يشعل سيجارته ، وينفث دخانها ليختلط بدخان الأوراق المحترقة ..

لقد نجح هذا الجزء من الخطة ..

* * *

فحصت ( منى ) ذلك المسدس الذى أعطاها إياه الرائد ( وليد ) ، ثم دسته فى حقيبتها ، والتقطت عدستين زرقاوين لتضعهما فى عينيها ، حينما سألها ( وليد ) :

ــ هل تنوين إتمام المهمة وحدك ؟

كان صوتها يحمل مزيجًا من الحزن والمرارة والإصرار والعناد ، وهى تقول :

ــ بالطبع .. لقد قضى ( أدهم ) نحبه من أجل تحطيم ( ملائكة الجحيم ) ، وسأتم المهمة التى قتل من أجلها ، ولو دفعت حياتى ثمنًا لذلك .

مس أسلوبها شغاف قلبه ، فقال فى صرامة :

ــ سنتمها معًا إذن .

عقدت حاجبيها ، وهى تقول :

ــ إنها مهمة خاصة بـ ( أدهم ) وبى فقط ، ولم تلتئم إصابة كتفك بعد .

قال فى صلابة :
ــ إنها مهمة لـ ( مصر ) أيها النقيب ، ولن تَحُول إصابتى بينى وبين القتال من أجل وطنى .
صمتت لحظة ، وهى تتأمله فى هدوء ، ثم قالت :
ــ فليكن .. ولكننا سننتظر عودة ( حلمى ) ، وما يحمله من أخبار .
لم تكد تتم عبارتها حتى ارتفع رنين جرس الباب ، فأسرعت ( منى ) تهتف :
ــ لقد عاد ( حلمى ) .
وأسرعت إلى الباب ، وفتحته فى حركة سريعة ، ثم عقدت حاجبيها فى قلق ، وهى تتطلع إلى ذلك الرجل الذى يقف أمامها ، مرتديًا زيًا رسميًا ، وقبعة من قبعات الشرطة ، يرخيها فوق رأسه لتخفى نصف وجهه ، وهو يقول بالفرنسية :
ــ أهذا منزل مسيو ( وليد زهران ) ؟
أجابته فى قلق :
ــ إنه هو .
فوجئت به يتقدم إلى الداخل ، ويزيحها عن طريقه فى برود ، فهتفت فى غضب وصرامة :



ــ هذا منزل خاصّ ، وما لم تكن تحمل إذنًا رسميًا بالتفتيش ، فلن .....
قاطعها الرجل فى هدوء ، وقد اختفت لغته الفرنسية ، وحلّت محلها لغة عربية ، ذات لهجة مصرية محبّبة إلى آذان ( منى ) ، وتحمل رنّة ساخرة ، جعلت قلبها يختلج بين ضلوعها فى قوّة :
ــ إذنًا رسميًا ؟!.. وهل يحتاج المرء إلى إذن رسمىّ لزيارة منزل صديق يا عزيزتى ( منى ) ؟
وأردف عبارته بخلع القبعة الرسميّة ، وإلقائها فوق مقعد قريب ، فاتسعت عينا ( منى ) فى مزيج من الذهول والفرح ، وهى تتطلّع إلى وجهه الوسيم ، وابتسامته العذبة ، ووجدت نفسها تصرخ فى سعادة غامرة :
ــ إذن فهو أنت !!.. حمدًا لله .. لقد عدت إلينا سالمًا يا ( أدهم ) .
ولم تكد تتم عبارتها حتى سقطت بين ذراعيه فاقدة الوعى ، من فرط الانفعال ..

* * *

أفاقت ( منى ) من غيبوبتها بعد ساعة واحدة . فطالعها وجه ( أدهم ) ، وهو ينحني نحوها ، ويبتسم ابتسامة تحمل كل حنانه وحبه ، وهو يقول هامسًا :

ــ مرحبًا بك يا عزيزتي .

اعتدلت جالسة ، وهي تهتف في سعادة :

ــ ( أدهم ) .. مازلت أعجز عن تصديق عودتك سالمًا .. لقد أخبرنا ( حلمي ) أنك قد لقيت مصرعك في السجن .

ابتسم وهو يقول :

ــ يبدو أن ( حلمي ) يحتاج إلى فرقة خاصّة في جمع التحرّيات يا عزيزتي . فقد كان عليه أن يتروّى قبل أن ينقل مثل هذا الخبر .

سألته في لهفة :

ــ كيف هربت من السجن ؟

هزّ كتفيه . وهو يقول في لامبالاة :

ــ لم يكن ذلك بالأمر العسير يا عزيزتي . فأي مخلوق يمكنه أن يفعل ذلك . مادام يرتدي زي حرّاس السجن الرسميّ . ويحمل بندقية . ويتحرّك في هدوء . حاملًا أمرًا خاصًا من مدير السجن .





ولم تكد تتم عبارتها حتى سقطت بين ذراعيه فاقدة الوعي ، من فرط الانفعال ..

ضحك ( وليد ) ، وهو يقول :

ـــ إنك تجعل الأمر يبدو كنزهة لطيفة يا سيادة المقدّم ، ولكن ليس من العسير بالفعل أن يفرّ من يحمل لقب ( رجل المستحيل ) ، من سجن ( باريس ) ، بعد أن نجح يومًا في الفرار من سجن ( سنج سنج ) الرهيب(*) .

ابتسم ( أدهم ) ابتسامة باهتة ، ثم سأل ( منى ) في اهتمام :

ـــ أما زالت حقيبة التنكّر الخاصّة بنا في حجرتنا بالفندق ؟

أجابته في هدوء :

ـــ لست أدرى .. ولكن إيجار الحجرة مسدّد حتى نهاية الشهر ، ولكن رجال ( مارسيل ) سيراقبونها حتمًا ، فور معرفتهم بفرارك ، ولقد أحضرت أدوات التنكّر الأخرى ، التي ابتاعها ( وليد ) قبل .....

قاطعها في هدوء :

ـــ لن تكفى يا عزيزتى ، إن المواجهة ستتخذ هذه المرّة لونًا جديدًا ، وأحتاج إلى كل ذرّة من المعونة فيها .

سألته وقد بدا القلق يتسلّل إلى صوتها :

ـــ ماذا تنوى أن تفعل ؟

---

(*) راجع قصة ( مخلب الشيطان ) .. المغامرة رقم (٣٧) .



ارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـــ سأخبرك يا عزيزتى .. سأخبرك بكل شيء .

* * *



# ٧ — المنـــاورة ..

« هرب من السجن » ..

صرخت ( سونيا ) بهذه العبارة ، فى مزيج من الذهول والرُّعب ، وشحب وجهها فى شدَّة ، وهى تهتف مردفة :

— هذا يعنى أنه سيقاتل فى شراسة هذه المرَّة .. لقد أدرك أنه بات طريد الجميع ، وسيقلب الأمور ليتحوَّل من الدفاع إلى الهجوم الشرس ، هذه هى طبيعته .

هتف بها ( مارسيل ) فى صرامة :

— كُفى يا ( برجيت ) .. إنك تثيرين حَنَقِى بفزعك هذا .. هل نسيت أننى أقوى رجل فى ( فرنسا ) ؟ وأنه لم يُخلق بعد من يهزم ( مارسيل بيكر ) ؟

ارتعد جسد ( سونيا ) ، وهى تصرخ فى عصبيَّة :

— كفى غرورًا يا ( مارسيل ) .. ألقِ عن عينيك تلك الغشاوة التى تمنعك رؤية قدرات خصمك .. لو أراد ( أدهم صبرى ) أن يظفر بك لفعل ، حتى ولو اختفيت فى مصباح ( علاء الدين ) ، وأحطت نفسك بأسوار من نار .

صرخ ( مارسيل ) فى غضب :



— كفى يا ( برجيت ) .

ابتسمت ( كلوديا ) فى تلذُّذ ، وهى تنفث دُخان سيجارتها ولم ترد على أن غمغمت فى خفوت :

— يا له من رجل !!

التفت إليها ( مارسيل ) ، هاتفًا فى حِدَّة :

— كفى أنت أيضًا يا ( كلوديا ) .

ثم لوَّح بذراعه ، قائلًا فى عصبية :

— لا تنسيا أننى ( مارسيل بيكر ) .. ملك العصابات .

سألته ( سونيا ) فى حِدَّة مماثلة :

— وماذا تنوى أن تفعل يا ملك العصابات ، بعد أن أصبح خصمك طليقًا ؟

عقد ( مارسيل ) حاجبيه ، وهو يقول :

— سأستغل قدرات هذا الرجل لصالحى .

ثم أردف فى اهتمام وعصبية :

— إذا كان يريد أن ينالنا حقًّا ، فلابدَّ له من مهاجمتنا ، وسيعنى هذا أن يواجهنا إن عاجلًا أو آجلًا ، وكل ما علينا أن نفعله هو أن نستعد ، وننتظر .

غمغمت ( سونيا ) فى سخرية :

— يالها من خطة بارعة !!

تجاهل ( مارسيل ) لهجتها الساخرة ، وهو يردف فى مزيج من الصرامة والحنق :

— وسنبدأ بتطبيق القاعدة المعروفة : « لا تضع البيض كله فى سلة واحدة » ، وهذا يعنى أن يفترق ثلاثتنا ، فيقيم كل منا فى منزله ، ونحيط المنازل الثلاثة بأكبر قدر من الحراسة والمراقبة ، مع إصدار الأوامر بقتل ( أدهم صبرى ) هذا فور رؤيته .

عادت ( سونيا ) تغمغم :

— لن يكفى هذا .

مرة أخرى تجاهلها ( مارسيل ) ، وهو يستطرد :

— وفى نفس الوقت سيستمر رجالى فى البحث عنه ، بالإضافة إلى جهود رجال الشرطة ، التى ستكلف ولاشك ، بحثًا عن المصرى الذى نجح فى الفرار من السجن .

مطت ( سونيا ) شفتيها ، وهى تغمغم :

— أعشم أن ينجح كل هذا .

صاح ( مارسيل ) فى غضب :

— ماذا أصابك يا ( برجيت ) ؟.. إنه مجرد رجل واحد !



هتفت ( سونيا ) فى حدة :

— رجل واحد نجح فى الفرار منك أكثر من مرة ، وفى تجاوز كل المخاطر التى تعرض لها حتى الآن يا ( مارسيل ) .. رجل واحد يساوى جيشًا كاملًا .

صاح ( مارسيل ) :

— فليساوِ حتى دولة بأكملها .. إنه لن يفلت من بين يدى هذه المرة يا ( برجيت ) .

ثم أردف بكل ما يحمل فى نفسه من حنق ومرارة :

— ستكون هذه هى الجولة الأخيرة ، فى صراعنا مع ذلك الشيطان المصرى .

* * *

اعتدل موظف الاستقبال فى ذلك الفندق الفاخر ، الذى يطل على برج ( إيفل ) فى قلب ( باريس ) ، فى احترام ، أمام ذلك الرجل الوقور ، الأشيب الفودين ، الذى تأمله من خلف منظاره الطبى ، قبل أن يقول فى هدوء ، وبإنجليزية سليمة ، لا يرقى إليها الشك :

— أريد حجرة فى الطابق الثالث ، تطل على برجكم الشهير مباشرة .

أجابه الموظف فى احترام :

ــ يؤسفنى ألا توجد حجرات خالية فى الطابق الثالث ياسيِّدى .. ولكن لدىّ جناح فاخر فى الطابق الرابع ، يمكنك من نافذته رؤية أجمل مشهد للبرج .

مطَّ الإنجليزى الوقور شفتيه ، وهو يقول فى أسف :

ــ لا بأس .. سنكتفى بالموجود .

ثم دفع أمام الموظف برزمة تحوى عشرة آلاف فرنك فرنسىّ ، وهو يستطرد فى هدوء :

ــ هل يكفى هذا المبلغ كدفعة مقدَّمة ؟.. إننى أنوى البقاء لأسبوع كامل .

هتف موظف الاستقبال فى دهشة واحترام :

ــ إنه يزيد كثيرًا ياسيِّدى ، فلن يتجاوز إيجار الجناح فى الأسبوع سبعة آلاف فرنك و .....

قاطعه الإنجليزى فى لامبالاة :

ــ حسنًا احتفظ بالباقى .

سال لُعاب موظف الاستقبال ، وتطلَّع فى توقير إلى الرجل الذى منحه ثلاثة آلاف فرنك دفعة واحدة ، وهتف فى فرح لم يحاول إخفاءه :



ــ أوه .. شكرًا جزيلًا ياسيِّدى .

وأسرع يخرج دفتره ، ليسجِّل اسم النزيل ، وهو يقول :

ــ هل تسمح لى بجواز سفرك ياسيِّدى المحترم ؟

أجابه الإنجليزى فى هدوء :

ــ سيصل سكرتيرى الخاصّ بعد ساعة واحدة ، حاملًا الحقائب وجواز السفر .

كان القانون الفرنسى يحتِّم وجود جواز السفر بالنسبة للأجانب ، إلَّا أن موظف الاستقبال خشى أن يفقد تلك الهبة ، التى تفوق مرتبه فى شهر كامل ، فأسرع يقول مبتسمًا :

ــ لاعليك ياسيِّدى .. سأكتفى بتوقيعك ، وسأكمل البيانات اللازمة عند وصول سكرتيرك الخاص .

ابتسم الإنجليزى ، وتناول القلم ليوقِّع باسمه ، وهو يقول فى هدوء :

ــ يرُوق لى أسلوب معاملتكم هنا .. أعتقد أننى سأقيم فى فندقكم فى كل مرَّة أزور فيها ( باريس ) .

هتف الموظف فى حرارة :

ــ على الرَّحب والسَّعة ياسيِّدى المحترم .

* * *



وطوّح بجسده مرّتين ، ثم أفلت من الحاجز ، وقفز ليستقر فوق الحاجز الخارجى لنافذة الحجرة ويحفظ توازنه فى مهارة ورشاقة ..

لم يكد الإنجليزى ، الذى لم يكن سوى ( أدهم صبرى ) ، يستقر فى جناحه الفاخر ، فى الطابق الرابع ، حتى أسرع إلى نافذة الجناح الضخمة ، وتطلّع منها إلى الطابق الثالث ، حيث حجرته الأولى فى نفس الفندق ، ثم خلع معطفه ، وألقاه بإهمال على مقعد قريب ، وتسلّق النافذة ليقف على الحاجز الضيق خارجها ، وتحرّك فوقه فى خفّة وسرعة ، ملصقًا ظهره بحائط الفندق ، حتى أصبح فوق حجرته الأولى تمامًا ، وهنا مال بجسده فى مرونة ، وأمسك الحاجز بكفّيه ، ثم ألقى جسده ليتدلّى إلى الطابق الثالث ، أمام نافذة الحجرة ، وَطوَّحَ بجسده مرّتين ، ثم أفلت من الحاجز ، وقفز ليستقر فوق الحاجز الخارجى لنافذة الحجرة ، ويحفظ توازنه فى مهارة ورشاقة ، ثم شرع يعالج النافذة حتى فتحها ، وقفز داخل الحجرة ، واتجه فى خطوات سريعة إلى حيث ترك حقيبة أدوات تنكّره ، والتقطها ليفحصها فى عناية ، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يغمغم :

— كم ستشعر بالندم ، لأنك لم تعدم هذه الحقيبة يا عزيزى ( مارسيل ) .

* * *

كانت عقارب الساعة تشير إلى العاشرة مساءً ، حينما اقتحمت سكرتيرة ( آلان لوبس ) ، المحامي الخاص لـ ( مارسيل بيكر ) حجرته ، وهي تقول في لهفة :

ـ مسيو ( آلان ) .. إن مسيو ( مارسيل ) يطلب رؤيتك .

هتف ( آلان ) وهو ينهض من مقعده ، ويلتقط معطفه بسرعة :

ـ هل هناك أمر خطير ؟.. سأذهب إليه على الفور .

قالت السكرتيرة في صوت لاهث :

ـ إنه هنا يا مسيو ( آلان ) .

اتسعت عينا ( آلان ) في دهشة ، وهو يهتف :

ـ هنا ؟!

ثم استدرك في سرعة :

ـ وكيف جعلته ينتظر في الخارج أيتها التعسة ؟.. سأستقبله على الفور .

جاءه صوت ( مارسيل ) ، وهو يقول في هدوء :

ـ أنا الذي طلبت منها أن تخبرك أولًا يا عزيزي ( آلان ) .

كان يقف بباب الحجرة متأنقًا كعادته ، مرتديًا حُلّة بيضاء



أنيقة ، وقفازين قصيرين من الجلد الأبيض ، وشعره الأسود الناعم الكثيف مصفّف في عناية ، ليزيد من وسامة ملامحه ، فأسرع إليه ( آلان ) يصافحه في حرارة ، وهو يقول في ارتباك :

ـ مرحبًا بك في مكتبي أيها الزعيم .. معذرة .. فلقد أربكني حضورك ؛ لأنك لا تفعل هذا إلا فيما ندر ، فقد اعتدت أن أذهب أنا إليك ، أو تحادثني هاتفيًا .

صافحه ( مارسيل ) في برود ، دون أن يخلع قفازه ، كما تقتضي أصول اللياقة ، ثم جلس فوق مقعد قريب ، ووضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، وهو يقول :

ـ كان الأمر هذه المرّة يحتاج إلى قدومي شخصيًا يا ( آلان ) .

أسرع ( آلان ) يستقرّ خلف مكتبه ، وهو يسأله في قلق :

ـ ماذا هناك أيها الزعيم ؟

أشعل ( مارسيل ) واحدة من سجائره ، ونفث دُخانها في بطء وهدوء ، قبل أن يقول :

ـ أريد كل أوراق العمليات السرّيّة ، التي أحتفظ بها هنا .

اتسعت عينا ( آلان ) عن آخرهما ، وهو يهتف :

— كل الأوراق ؟!..

وخامره خاطر مزعج ، جعله يستطرد فى جزع :

— هل تنوى إيقاف تعاملك معى يا مسيو ( مارسيل ) ؟.. إننى لم أقصّر فى عمل أبدًا ، لقد استصدرت صباح اليوم قرارًا بالإفراج عن ( ماريان ) و ( سينيوريه ) ، على الرغم من تقرير رجال الشرطة بالعثور على المدفع الرشاش بحوزتيهما ، ولم أفرّط يومًا فى ورقة واحدة من أوراقك السرّيّة ، على الرغم من أنّ ما تحويه يكفى لإلقاء نصف رجالك فى غياهب السجون و......

قاطعه ( مارسيل ) فى صرامة :

— وإلقائى أنا أيضًا إلى جوارهم يا ( آلان ) .. أليس هذا ما تريد قوله ؟

شحب وجه ( آلان ) ، وهو يقول :

— لا يمكننى أن أفعل هذا أيها الزعيم .. أنت تعلم أنه لا يمكننى .. فذهابك إلى السجن يعنى نهاية عمل أيضًا ، فالإدانة تشمل كلينا على حد سواء و......

عاد ( مارسيل ) يقاطعه فى حِدّة :

— كفى أيها الغبىّ .. إننى لا أنوى إيقاف تعامل معك



أبدًا ، ولكننى أواجه الآن خصمًا شيطانيًا ، يمتلك قدرات تفوق أبشع كوابيسك ، ولست أحبّ أن أترك له ثغرة واحدة ، ينفذ من خلالها إلىّ .

أشار ( آلان ) إلى الجدار المجاور لمكتبه ، وهو يقول :

— ولكن أوراقك هنا فى مأمن يا مسيو ( مارسيل ) ، فأنت تعلم أن خزانتى السرّيّة منيعة للغاية ، وحتى الشيطان نفسه لا يمكنه أن ......

قاطعه ( مارسيل ) فى صرامة باردة :

— سأشعر بالمزيد من الأمان ، إذا ما احتفظتُ بالأوراق فى مسكنى ، فى هذه المرحلة بالذات .

حدّق ( آلان ) فى وجهه بحيرة ، ثم لم يلبث أن غمغم فى استسلام :

— كما تشاء يا مسيو ( مارسيل ) .. كما تشاء .

ونهض من خلف مكتبه ، فاستوقفه ( مارسيل ) ، قائلًا فى صرامة :

— اصرف سكرتيرتك أوّلًا يا ( آلان ) .. قلت لك إننى لا أنوى ترك ثغرة واحدة .

— كان ( آلان ) يثق فى سكرتيرته ( جاكلين ) ثقة عمياء،

خاصة أنها لن تجد أبدًا عملًا ، يدرّ عليها ذلك الدخل الضخم ، الذى تحصل عليه من العمل فى مكتبه ، إلّا أنه كان يعلم مدى حَذَر وصرامة ( مارسيل ) ، فيما يخص بوسائل الأمن والسّرّيّة ، فضغط زرّ ( الديكتافون ) الموضوع فوق مكتبه ، فى استسلام ، وهو يقول :

ـــ ( جاكلين ) .. يمكنك أن تنصرفى الآن .. سأبقى بعض الوقت مع مسيو ( مارسيل ) .

أجابته ( جاكلين ) فى هدوء :

ـــ كما تأمر يا مسيو ( آلان ) .

ابتسم ( مارسيل ) ، وقال :

ـــ والآن أحضر الأوراق .

اتجه ( آلان ) إلى حائط المكتب المجاور ، وتحسّس نقوش لوحة زيتية أنيقة ، ثم ضغط أحد أجزائها فى رفق ، فتحرك جزء من الحائط المقابل فى هدوء ، كاشفًا خزانة فولاذيّة قويّة ، اتجه إليها ( آلان ) ، ودار بسبّابته على حافتها بعض الوقت ، ليوقف عمل جهاز الإنذار السّرّىّ المتصل به ، ثم ضغط بعض الأزرار المثبّتة على بابها فى تتابع مدروس ، فتحرّك باب الخزانة ، وكشف عن فجوة تمتلئ بالأوراق النقديّة والحلىّ والمجوهرات ،



والتقط هو منها ملفًا ضخمًا ، ناوله إلى ( مارسيل ) ، وهو يقول :

ـــ هاهى ذى كل الأوراق يا مسيو ( مارسيل ) ، وأتعشّم أن تكون قد اصطحبت ثلة من الرجال لحمايتك ، فمن الخطر أن تحمل هذه الأوراق وحدك و ......

قاطعه صوت ساخر ، يختلف تمامًا عن صوت ( مارسيل ) ، وهو يقول :

ـــ اطمئن أيها الوغد .. أنا لا أحتاج إلى حماية .

تراجع ( آلان ) فى حركة حادّة قويّة ، كمن أصابته صاعقة ، وتدلّى فكّه السفلىّ فى بلاهة ، واتسعت عيناه فى جحوظ ، وهو يحدّق فى وجه ( مارسيل ) ، قبل أن يهتف فى فزع وذهول هائلين :

ـــ ولكن .. ولكنك لست ( مارسيل بيكر ) .

أجابه ( أدهم ) ، الذى ينتحل شخصية ( مارسيل ) فى براعة مذهلة :

ـــ بالطبع أيها الوغد .. أنا لست ( مارسيل ) .

حاول ( آلان ) أن ينفض ذهوله ، وأن يصرخ مستنجدًا ،

ولكن لكمة ( أدهم ) القويّة أخرسته على الفور ، فسقط ليرتطم بمقعد كبير ، ويهوى فاقد الوعى ، فى حين ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتىْ ( أدهم ) ، وهو يقول :
— والآن إلى الخطوة الثانية .

* * *





# ٨ — فى قلب الهدف ..

دخل الجاسوس ، الذى ينتحل شخصيّة اللواء ( حسن الصدور ) ، فى خطوات هادئة ، بهو ذلك الفندق الفاخر فى قلب ( القاهرة ) ، الذى شهد عرض الأزياء الأنيق ، الذى أقامته ( كلوديا موريس ) وهو يرتدى نفس الحُلّة البنيّة الأنيقة ، التى كان يرتديها اللواء ( حسن ) ليلة العرض ، والتى ترك النبيذ بقعة واضحة على سترتها ، واتخذ لنفسه ركنًا جانبيًّا ، وراح يطالع صحيفة مسائية فى هدوء ، دون أن يلتفت إلى ذلك الرجل من نزلاء الفندق ، الذى جلس على مقعد مجاور له ، وانهمك بدوره فى مطالعة مجلة فرنسية شهيرة ..

واستغرق كل منهما فى مطالعته بعض الوقت ، ثم دسّ الرجل الآخر بين شفتيه سيجارة ، من نوع فرنسىّ شهير ، وحاول إشعالها بقدّاحته الذهبية الأنيقة بلا جدوَى ، مما جعله يلتفت إلى الجاسوس ، ويسأله فى لهجة مهذّبة عمّا إذا كان يحمل ما يشعل به سيجارته ، فما كان من الجاسوس إلّا أن التقط من جيبه قدّاحة ذهبيّة ، مماثلة تمامًا لقدّاحة الرجل ، وأشعل بها سيجارة هذا الأخير ، ثم وضعها فوق المنضدة المجاورة ، إلى

جوار قداحة الرجل الفارغة ، وعاد كل منهما لمطالعة ما بين يديه فى اهتمام وانهماك ، حتى انتهى الرجل الآخر من تدخين سيجارته ، فأطفأها فى المنفضة الصغيرة ، الموضوعة فوق المنضدة ، ثم التقط قداحة الجاسوس ، ودسها فى جيبه ، ونهض وهو يكرّر شكره للرجل ، واتجه إلى خارج الفندق فى هدوء ..

وارتسمت ابتسامة ارتياح على شفتى الجاسوس ..

لقد سلّم الميكروفيلم ، الذى يحوى صور التعديلات الجديدة لـ ( تايجر شارك ) ، ولم يعُد أمامه سوى استعادة شخصيته ، والرحيل بجواز سفره الخاص ..

لقد كانت عملية رائعة ..

وناجحة ..

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى الحادية عشرة والنصف مساءً ، حينما توقفت سيارة ( آلان لويس ) أمام ڤيلّا ( مارسيل بيكر ) ، فى تلك الضاحية الهادئة من ضواحى ( باريس ) ، وأطلّ هو منها بعين متورّمة ، وأنف مغطّى بالضمادات ، ووجه مضطرب ، وهو يقول لحارس البوابة :



— أريد مقابلة مسيو ( مارسيل ) .. أخبره أن الأمر عاجل ، وبالغ الخطورة .

كان من الواضح أن ( مارسيل ) يحيط نفسه بحراسة شديدة مكثّفة ، هذا المساء بالذات ، فقد كان هناك أكثر من عشرين رجلًا ، يحملون المدافع الرشاشة ، ويحيطون بالڤيلّا ، ولقد بدا ذلك الحارس ، الذى حدّثه ( آلان ) شديد الصرامة ، وهو يقول فى خشونة :

— مسيو ( مارسيل ) لا يسمح بأية زيارات هذه الليلة .

صاح ( آلان ) فى غضب .

— أخبره أنه أنا ، عليك اللعنة .. إن الأمر الذى أتيت من أجله بالغ الخطورة ، لا يحتمل التأخير للحظة واحدة ، وسأحمّلك المسئولية لو لم .....

قاطعه الحارس فى خشونة :

— كفى يا مسيو ( آلان ) .. سأخبره بأنك هنا ، وعليه هو أن يتخذ القرار .

ثم التقط جهاز لاسلكى صغيرًا من حزامه ، وضغط زرّه ، وهو يقول :

— مسيو ( آلان لويس ) هنا أيها الزعيم ، ويصرّ على مقابلتك ، ويقول إن لديه أمرًا عاجلًا ، بالغ الخطورة .

وعقد الحارس حاجبيه ، وهو يستمع إلى جواب زعيمه ، ثم ناول الجهاز إلى ( آلان ) ، وهو يقول :

ـ إنه يريد التحدُّث إليك .. الزرّ الأحمر يجعله يسمعك ، والأخضر يجعلك تسمعه .

اختطف ( آلان ) الجهاز الصغير ، وضغط الزرّ الأحمر ، وهو يقول :

ـ مسيو ( مارسيل ) .. أريد مقابلتك للضرورة القصوى .. لقد زار الرجل المدعو ( أدهم صبرى ) مكتبى .

ثم ضغط الزرّ الأخضر ، ليسمع ( مارسيل ) ، وهو يهتف فى غضب :

ـ زار مكتبك ؟!.. وماذا فعل أيها التعس ؟

ارتبك ( آلان ) ، وهو يضغط الزرّ الأحمر ، قائلاً :

ـ إنه أمر أخطر من أن أبلغك به هكذا يا مسيو ( مارسيل ) ، من الضرورى أن ألتقىَ بك ، وحالاً .

وعاد يضغط الزرّ الأخضر ، ويستمع إلى ( مارسيل ) ، وهو يصرخ فى سخط هائل :

ـ عليك اللعنة !! أعطنى حارس البوّابة .

ناول ( آلان ) الجهاز لحارس البوّابة ، وهو يقول :



ـ إنه يريدك .

التقط الحارس الجهاز ، واستمع إلى زعيمه فى اهتمام ، ثم قال لـ ( آلان ) :

ـ غادر سيارتك يا مسيو ( آلان ) .

غادر ( آلان ) سيارته ، ورفع ذراعيه ليسمح للحارس بتفتيشه جيدًا ، قبل أن يقول :

ـ سيقودك ( مارتان ) إلى الزعيم .

تبع ( آلان ) ( مارتان ) عبْرَ ممرّات متشابكة ، معقّدة ، حتى توقفا أمام حجرة لها باب خشبى سميك ، مزدان بنقوش تعود إلى القرن الثامن عشر ، ودقّ ( مارتان ) باب الحجرة دقتين ، ثم قال :

ـ مسيو ( آلان ) أيُّها الزعيم .

ودفع الباب ، وأشار لـ ( آلان ) بالدخول ، ثم أغلق الباب خلفه ، ووقف أمامه ممسكًا بمدفعه الرشاش فى تحفُّز .

أمّا فى داخل الحجرة ، فقد نهض ( مارسيل ) من مقعده ، أمام شاشة سينمائية تعرض فيلمًا أمريكيًا قديمًا ، وأضاء الحجرة وهو يستقبل ( آلان ) معقود الحاجبين ، صائحًا فى قسوة وصرامة ، وهو يشير إلى عيْنَ ( آلان ) المتورِّمة .

— أهو ( أدهم صبرى ) الذى فعل بك هذا ؟

أجابه ( آلان ) فى اضطراب واضح :

— كنت على استعداد لاحتمال أضعاف هذا ، لو أنه لم يحصل على ما حصل عليه يا مسيو ( مارسيل ) .

اتسعت عينا ( مارسيل ) فى ذعر ، وجذب إليه ( آلان ) من سترته فى قسوة ، وهو يصرخ فى وجهه :

— ما الذى حصل عليه يا ( آلان ) ؟.. لو أنه حصل على الأوراق فسوف ......

قاطعه ( آلان ) فى صوت أقرب إلى البكاء :

— نعم .. لقد حصل عليها يا مسيو ( مارسيل ) .

جحظت عينا ( مارسيل ) فى ذهول ورعب ، وصرخ كالمجنون :

— أيها الغبىّ الحقير .. سأقتلك جزاء هذا .. أين ذهبت خزانتك المنيعة ؟.. كيف نجح فى سرقتها ؟

صاح ( آلان ) :

— لقد جاءنى منتحلا شخصيّتك يا مسيو ( مارسيل ) .

صرخ ( مارسيل ) فى ثورة ، وهو يدفعه بعيدًا عنه فى قسوة :



— أولم يمكنك أن تفرّق بيننا أيها الغبىّ ؟.. هل تعلم ما يعنيه حصوله على الأوراق ؟.. إنه يَعْنى ضرورة فرارى من ( فرنسا ) كلها ، وفى أسرع وقت ممكن ، قبل أن تصل الأوراق إلى الشرطة .

سأله ( آلان ) فى اضطراب :

— وأين تذهب يا مسيو ( مارسيل ) ؟

حَدَجَهُ ( مارسيل ) بنظرة ناريّة ، وهو يقول فى غضب هائل :

— إلى ( سويسرا ) أيها الغبىّ .. هل نسيت أننى أمتلك عدة ملايين من الفرنكات ، فى أحد بنوكها السرّيّة ؟

ثم دقّ على سطح مكتبه فى ثورة ، وهو يردف فى سخط :

— ولكن كيف خدعك بانتحاله شخصيّتى ؟.. أأنت من الغباء حتى لم تتبيّن أنه زائف ؟

خُيِّل إلى ( مارسيل ) أن صوت ( آلان ) قد شابته السخرية ، وهو يقول :

— إنه يجيد التنكّر فى براعة فائقة يا مسيو ( مارسيل ) .

التفت إليه ( مارسيل ) فى حركة حادّة ، وحدّق فيه فى توتّر ، ثم غمغم وهو يتراجع فى ذُعر :

— ( آلان ) .. إنك تبدو مختلفًا .. نعم .. إنك أطول قامة مما أنت عليه فى الواقع .. لقد شغلنى ذلك الحبر الذى حملته ، وذلك الورم فى عينيك عن ملاحظة ذلك منذ البداية .. إنك لست ( آلان ) .. إنك .....

قفزت سبّابته قبل أن يتم عبارته إلى زر الإنذار الخاصّ ، الذى يستقر فوق مكتبه ، ولكن الدماء تجمّدت فى عروقه ، حينما رأى ( آلان ) يثب نحوه كفهد شرس ..

* * *

لم يستغرق الأمر من ( أدهم ) أكثر من لحظة واحدة ، فلقد وثب نحو ( مارسيل ) ، وهو فى هيئة ( آلان ) ، ولكمه لكمة قويّة على فكّه ، جعلت ( مارسيل ) يندفع إلى الخلف فى قوّة ، وقبل أن يسترجع توازنه ، أو يسيطر على فزعه وذُهوله ، كان ( أدهم ) يلكمه لكمة قويّة فى معدته ، ثم يحيط عنقه بذراعه الفولاذية فى قوّة ، ويلصق فُوّهة مسدّسه بجبهته ..

وامتلأت عروق ( مارسيل ) ، ملك العصابات ، بفزع هائل ، وهو يجد نفسه مهزومًا مدحورًا فى قلب وكره ، بين ذراعى ( أدهم ) ، الذى يستطيع بضغطة بسيطة علىَ زناد





وامتلأت عروق ( مارسيل ) ، ملك العصابات ، بفزع هائل ، وهو يجد نفسه مهزومًا مدحورًا فى قلب وكره ، بين ذراعى ( أدهم ) ..

مسدسه أن يقتله ، فذهب غروره ، وضاعت جُرأته ، وهو يهمس في صوت متوسِّل ضارع :

— مسيو ( أدهم ) .. أرجوك .. سأدفع لك خمسة ملايين فرنك ، مقابل حياتي .

أجابه ( أدهم ) في لهجة ساخرة ، تحمل قدرًا من الصَّرامة يثير الفزع :

— لا فائدة يا ملك الأوغاد .. لقد انتهت اللُّعبة ، وخسرتها أنت حتى الثُّمالة ، ولم يَعُد هناك مجال للتوسُّل والرَّجاء .

كاد ( مارسيل ) يبكي ، وهو يقول :

— أرجوك يا مسيو ( أدهم ) .. إنني أحب الحياة .. سأرفع المبلغ إلى عشرة ملايين .. بل عشرين ..

قاطعه ( أدهم ) في ازدراء :

— اطمئن أيها الحقير .. إنني لا أنوي قتلك .. سأترك تلك المهمة للقضاء الفرنسي .. فلقد حصلت على مستندات تكفي ، لأن يضعوك على المقصلة ، عشر مرَّات على الأقل ، وستقدِّم زميلتي تلك المستندات للنائب العام الفرنسي بعد ساعة واحدة .



وامتلأت لهجته بالسُّخرية ، وهو يستطرد :

— هل تعلم لماذا لم أقدِّم هذه المستندات على الفور ؟.. ولماذا أنتظر ساعة أخرى كاملة ؟

خُيِّل لـ ( مارسيل ) أنه قد أدرك غرض ( أدهم ) ، فهتف في توسُّل :

— سأدفع أيَّ مبلغ تطلبه ، مقابل هذه المستندات يا مسيو ( أدهم ) ؟

أطلق ( أدهم ) ضحكة ساخرة قصيرة ، قبل أن يقول :

— أخطأت فهم مقصدي أيها الوغد .. فمن المستحيل على الأوغاد أمثالك ، أن يدركوا وجود أي قوم شرفاء في هذا العالم .. لقد أجَّلت تسليم هذه المستندات للنائب العام الفرنسي ؛ لأنني لا أريد أن يبدأ رجال الشرطة مطاردتك ، قبل أن أنتهي من الاستفادة الكاملة من انتحالي شخصيتك ، فلقد أدركت أنك الشخص الوحيد الذي يمكنه اختراق كل نطاقات الأمن ، التي أحكمت بها الحصار حول منزل ( سونيا ) ، ومنزل ( كلوديا ) ، وأنا أنوي إنهاء العملية كلها قبل فجر الغد .

غمغم ( مارسيل ) في ألم :

— أرجوك يا مسيو ( أدهم ) .

وجاء جواب ( أدهم ) على هيئة لكمة كالقنبلة ، أخرست ( مارسيل ) ، وأفقدته وعيه على الفور .. وهنا أسرع ( أدهم ) ينزع عن وجهه ذلك القناع ، الذى يحمل وجه ( آلان ) ، فإذا به يحمل أسفله ذلك القناع الآخر ، الذى يبدو كنسخة طبق الأصل من ( مارسيل بيكر ) ، وشرع يبدّل ثيابه بثياب ( مارسيل ) ، ثم اعتدل وصفّف شعره فى عناية كعادة ( مارسيل ) ، وانحنى يثبّت قناع ( آلان ) على وجه ( مارسيل ) ، ثم اتجه إلى باب الحجرة فى هدوء ، وفتحه ، وقلّدت حنجرته المَرِنة صوت ( مارسيل ) فى براعة مذهلة ، وهو يقول لـ( مارتان ) :

— لقد خاننا ذلك الوغد ، وحاول الفرار ، ولكننى أفقدته وعيه .

تطلّع ( مارتان ) إلى ( مارسيل ) ، الذى يحمل الآن وجه ( آلان ) ، فى دهشة ، وهو يغمغم :

— مسيو ( آلان ) خائن ؟!

أجابه ( أدهم ) بصوت ( مارسيل ) وصرامته :



— نعم .. أريد منك أن تقيّده ، وتكمّم فمه فى إحكام ، وابق خارج الحجرة لحراسته حتى أعود .

استعدّ ( مارتان ) لتنفيذ الأمر ، وهو يسأله فى اهتمام :

— إلى أين أيها الزعيم ؟

أجابه ( أدهم ) فى هدوء :

— إننى أشعر برغبة قويّة فى زيارة عزيزتنا ( برجيت ) .

وارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيه ، وهو يردف :

— رغبة قويّة للغاية .

* * *



# ٩ — الثَّمـن ..

توقّفت سيّارة ( مارسيل بيكر ) الفاخرة ، أمام البناية التي تقيم فيها ( سونيا جراهام ) ، في منتصف الليل تمامًا ، وهبط منها ( أدهم ) ، وهو يحمل وجه ( مارسيل ) ، وأناقته المفرطة ، وأسرع إليه أحد رجال ( مارسيل ) ، يستقبله في حرارة ، هاتفًا :

— مرحبًا بك أيها الزعيم .. كل شيء هنا على ما يرام .

تجاهله ( أدهم ) ، وهو يتقدّم نحو مصعد البناية الكبير ، ثم لم يلبث أن توقّف ، وهو يقول للرجل :

— مُرْ كل الرجال بالتجمع هنا ، حتى أصدر إليكم أوامر أخرى ..

سأله الرجل في دهشة :

— حتى هؤلاء الذين يقومون على حراسة شقة مدموازيل ( برجيت ) في أعلى .

أجابه ( أدهم ) في صرامة واقتضاب :

— الجميع .

ثم ذلف إلى المصعد ، وأغلقه خلفه ، ووقف داخله



هادئًا ، وهو يصعد به إلى الطابق العلوى ، حتى منزل ( سونيا ) ، حيث توقّف ، وغادره ( أدهم ) ، واتجه في خطوات سريعة إلى باب المنزل ، وقرع الجرس في هدوء ، ولم تمض لحظات حتى فتحت ( سونيا ) الباب ، وتطلّعت إليه في حنق ، وهي تقول :

— ماذا يعني كل هذا يا ( مارسيل ) ؟.. لماذا أمرت كل رجالك بالتخلّي عن حراستي ، والانتظار أسفل البناية .

دفعها ( أدهم ) عن طريقه في خشونة ، وتقدّم إلى المنزل ، وأغلق بابه خلفه ، وهو يقول في برود :

— إنك تقيمين في ( الشانزليزيه ) يا عزيزتي ( برجيت ) ، ولن يجرؤ ( أدهم صبرى ) على اقتحام منزل أنيق ، في أشهر أحياء ( باريس ) .

لوّحت بذراعها ، وهي تقول في حَنَق :

— هل ينبغي أن ألقي نفسي من الطابق العاشر ، حتى تقتنع بأن ( أدهم صبرى ) لا يتردّد عن اقتحام منزل رئيس الجمهورية الفرنسية نفسه ؟

ارتجف جسدها في رُعب هائل ، حينما استعاد ( أدهم ) صوته الأصليّ ، وهو يقول في سخرية :

— لا داعى لذلك يا عزيزتى ( سونيا ) ، إننى أصدّقك .

تراجعت ( سونيا ) ، واتسعت عيناها فى رُعب ، وهى تحدّق فى أذنى ( أدهم ) ، وتهتف فى صوت مختنق :

— إذن فهو أنت !!.. كان ينبغى أن أتوقّع ذلك .. كان ينبغى أن .....

وبترت عبارتها فجأة ، وهى تقفز نحو باب منزلها ، محاولةً الفرار ، ولكن ( أدهم ) جذبها من شعرها الأشقر الطويل فى قوّة ، جعلتها تصرخ ألمًا ، وهو يقول فى هدوء وسخرية :

— كلّا يا عزيزتى ( سونيا ) .. لست أنوى ممارسة لُعبة الاستخفاء والفرار هذه الليلة .

استدارت إليه ( سونيا ) فى شراسة ، وطوّحت بقدمها لتركله ، فى واحدة من حركات رياضة ( الكاراتيه ) ، ولكنه قفز إلى الخلف ، متخليًا عن شعرها ، وهو يضحك قائلًا :

— ولست أرغب فى مزاولة هذه الرياضة أيضًا .

زمجرت ( سونيا ) فى وحشيّة ، بدت شديدة التناقض مع فتنتها ، وانقضّت عليه ، وهى تهوى على عنقه بضربة قويّة من راحتها ، ولكنه تلقّى الضرْبة على ساعده فى بساطة ، ثم دار على عقبيْه فى مرونة ، وغاص جسده إلى أسفل ، متفاديًا ضربة



أخرى فى براعة ، ثم انتصب فجأة وصفع ( سونيا ) على وجهها صفعة قويّة ، ألقتها ثلاثة أمتار إلى اليسار ، وهى تصرخ فى ألم ، وأرادت أن تنهض فى سرعة ، ولكنها فوجئت بـ ( أدهم ) يكبّل معصميها بقبضته ، ويلوى ذراعيها خلف ظهرها فى قوّة ، وهو يقول فى سخرية :

— معذرةً يا عزيزتى ( سونيا ) ، إننى أكره استخدام القوّة مع النساء ، ولكننى مضطر لتقييد معصميك ، وتكميم فمك الجميل .

قاومت ( سونيا ) فى شراسة ، وهى تصرخ فى حَنَق ومرارة ، وحاولت أن تميل بجسدها لتركلَ وجه ( أدهم ) ، ولكنه أرجع رأسه إلى الوراء متفاديًا رَكْلتها ، وهو يقول ضاحكًا :

— محالٌ يا عزيزتى ( سونيا ) .. إننى أزاول رياضة ( الكاراتيه ) قبل أن تلدك أمّك ، ومحاولاتك تبدو لى مضحكة .

شعرت بعجزها عن مقاومته ، وهو يقيّد معصميها فى قوّة بحبل غليظ ، فقفزت دموع الهزيمة من عينيها ، وهى تصرخ فى سُخط ومَرارة :



شعرت بعجزها عن مقاومته ، وهو يقيِّد معصميها فى قوة بحبل غليظ ، فقفزت دموع الفزعة من عينيها ..

— أيها الحقير .. أيها الوَغد .

ابتسم فى سُخرِيَة ، وهو ينتقل ليقيِّد قدميْها ، قائلًا :

— ليس من اللّياقة أين يسبّ المرء فاتنة مثلك يا عزيزتى ( سونيا ) ، على الرغم من فظاظة ألفاظك .

صاحت فى سخط :

— لن يسمح لك ( مارسيل ) بالفرار ، بعد أن انتحلت شخصيته .

نهض بعد أن انتهى من تقييد قدميها ، وابتسم وهو يقول ساخرًا :

— لقد انتهى ( مارسيل بيكر ) يا عزيزتى ( سونيا ) .. ستلقى الشرطة الفرنسية القبض عليه ، بعد أن يتسلَّم النائب العام هنا كل المستندات التى تُدينُه .. وأراهنك أن القضاء الفرنسىّ سيضطر للحكم بإعدامه بالمقصلة ، ما دامت لا توجد عقوبة تفُوق ذلك .

اتسعت عينا ( سونيا ) فى ذُعر وذهول وألم ، وهى تهتف :

— يا للشيطان !!

ابتسم ( أدهم ) وهو يقول :

— إنه ثمن عادل يا عزيزتى ( سونيا ) ، فلقد ارتكب هذا

الوغد من الجرائم ، ما يثقل ضمير أمّة بأكملها ، دون أن يدفع الثمن مرّة واحدة .

واختفت ابتسامته ، وهو يردف في صرامة :

ـــ أمّا أنتِ يا عزيزتي ( سونيا ) ، فلقد أعددت لك نهاية أكثر أناقة .

حدّقت ( سونيا ) في وجهه في رُعب ، واختنقت الكلمات في حلقها ، فلم تنبس بحرف واحد ، في حين استطرد هو في برود :

ـــ سيتلقّى مكتب مكافحة الجاسوسية الفرنسيّ ، بعد نصف ساعة فقط ، كل الوثائق التي كان يحتفظ بها مكتبنا هنا ، والتي تثبت أنك واحدة من أفراد ( الموساد ) ، والتي تثبت أيضًا تورُّطك في عملية ( موسكو ) ، وأعتقد أنها ستكفي لإلقاء القبض عليك ، ومحاكمتك بتهمة التجسُّس في ( باريس ) ، خاصّة حينما تكشف الوثائق أنك تقيمين هنا باسم مزوّر وشخصيّة مزيّفة .

هتفت في صوت مختنق :

ـــ ولكنني لم أعد أنتمي لـ ( الموساد ) .

هزّ كتفيه في لامبالاة ، وهو يقول :



ـــ عليك أن تبذلي أقصى جهدك ، لإثبات ذلك يا عزيزتي ( سونيا ) .. فسيحصرك رجال مكتب مكافحة الجاسوسية اعتصارًا .

طفرت الدموع من عينيها غزيرة ، وهي تقول :

ـــ أيها الشّيطان !

عاد يهزّ كتفيه في لامبالاة ، ثم أخرج من جيبه بخّاخة صغيرة ، وهو يقول :

ـــ إنني أخشى بالطبع أن تعمدي إلى الفرار ، قبل وصول رجال مكتب مكافحة الجاسوسيّة :

لذا فقد استعرت هذه البخّاخة الأنيقة من صديقك ( مارسيل ) ، وأظن أنها ستكفي .

ثم دفع رذاذ المادّة المخدِّرة القويّة في وجهها ، ورأى رأسها يسقط على صدرها ، فابتسم في هدوء ، وهو يقول :

ـــ والآن استعدّي يا عزيزتي ( كلوديا ) .. لقد حان دوْرك .

* * *

# ١٠ ـ الخطوة الأخيرة ..

لم تكن عقارب السّاعة قد تجاوزت بعد نصف السّاعة الأوّل من اليوم الجديد ، حينما وصل ( أدهم ) ، فى سيّارة وهبة ( مارسيل بيكر ) ، إلى ذلك القصر المنيف فى قلب ( باريس ) ، الذى تقيم فيه المليونيرة الفرنسية ( كلوديا موريس ) ، وفى هذه المرّة كانت تتبعه سيّارة ( ليموزين ) سوداء ضخمة ، تكتظ بما يفوق سعتها من ركّاب ، وتحمل فوقها حقيبة جلديّة كبيرة ..

وأسرع إليه حارس البوّابة ، وهو يهتف فى حرارة امتزجت بها بعض الدهشة :

ـ مرحبًا أيها الزعيم .. ما الذى ......؟

وبتر عبارته فجأة ، حينما لاح له أنه من الخطإ أن يسأل زعيمه ، عن سبب قدومه ، فعاد يكرّر فى غمغمة خافتة :

ـ مرحبًا أيها الزعيم .

تطلّع إليه ( أدهم ) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ اجمع الرجال ، وليعُد الجميع إلى الفيلّا ، انتظارًا لأوامرى .



ارتفع حاجبا الرجل ، واتسعت عيناه فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ هل نتخلّى عن حِرَاسةِ القصر أيّها الزعيم ؟

أجابه ( أدهم ) فى لهجة غاضبة صارمة :

ـ أسمعت ما أمرتك به ، أم أن الخمور الرديئة ، التى اعتدت تناولها قد أفسدت سمعك ؟

حدّق الرجل فى وجهه ببلاهة ، وقد أدهشه أن الزعيم لا يعلم أن الأجر الضخم ، الذى يمنحهم إيّاه ، يكفيهم لتناول أفخر أنواع الخمور ، وأغلاها ثمنًا ، ولكنه عقد حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـ كما تأمر أيّها الزعيم .

ثم عاد يستدرك ، وهو يشير إلى ( الليموزين ) :

ـ وماذا عن هؤلاء ؟

أجابه ( أدهم ) فى صرامة :

ـ سيدخلون معى .

اعتدل الرجل وهو يقول :

ـ كما تأمر أيها الزعيم .

انطلق ( أدهم ) بسيّارته إلى حديقة القصر ، وتبعته

( الليموزين ) السوداء بركابها ، فيما تابع حارس البوّابة السيارتين فى حَيْرة ، وسأله زميله فى فضول :

ــ من هؤلاء ، الذين يصْحَبُون الزعيم ؟

غمغم الحارس فى حَنَق :

ــ يبدو أنهم طاقم الحراسة الجديد .. يلُوح لى أن الزعيم لم يَعُد يثق بقدراتنا .

وصمت لحظة ، قبل أن يردف بمزيد من الحَنَق :

ــ هيّا .. اجمع الرّجال ، سنغادر هذا المكان اللعين ، كما أمر الزعيم ، وإلاّ صبّ جام غضبه علينا ، إذا ما عاد فوجدنا هنا .

* * *

عقدت ( كلوديا ) حاجبيها فى دهشة وحَيْرة ، حينما أخبرها خادمها ، وهو ينحنى أمامها انحناءة كبيرة ، أن ( مارسيل بيكر ) يريد رؤيتها ، ولكن هذا لم يمنعها من أن تشير إلى الخادم فى غطرسة ، ليخبر ( مارسيل ) أنها تنتظره ، وأشعلت سيجارتها ، وملأت كأسها بـ ( الكونياك ) المفضّل لها ، وتمدّدت فوق أريكة وثيرة ، تنفث دُخان سيجارتها ، وتتطلّع إلى باب حجرتها فى ترقّب ، حتى لاح لها وجه ( أدهم ) ، وهو



ينتحل شخصية ( مارسيل ) ، فرسمت على شفتيها ابتسامة رقيقة ، لم تنجح فى إخفاء قلقها ، الذى بدا واضحًا فى صوتها ، وهى تقول :

ــ مرحبًا يا عزيزى ( مارسيل ) .. كيف حالك ؟.. أيّة رياح طيبة أتت بك إلى هنا ؟

تقدّم ( أدهم ) فى هدوء ، ليجلس على المقعد المجاور لها ، وانتزع من كفّيه ذلك القفّاز الجلدىّ القصير ، وهو يقول فى سخرية :

ــ لقد انتابتنى فجأة رغبة ملحّة فى رؤيتك يا عزيزتى ( كلوديا ) ، ودفعنى الشوق إلى رؤيتك الآن .

تطلّعت إليه ( كلوديا ) فى دهشة ، ثم لم تلبث أن عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى صرامة :

ــ اسمع يا ( مارسيل ) .. إننى أختلف تمامًا عن ( چوزفين ) ، ولو أنك تتصوّر أننى سأقبل حلولى محلّها فأنت واهمٌ .

ابتسم ( أدهم ) ، وهو يقول فى سخرية :

ــ أعلم ذلك يا عزيزتى ( كلوديا ) ، فأنت تختلفين عن الجميع .

حدقت ( كلوديا ) فى وجهه فى حيرة ، ثم اعتدلت جالسة ، وهى تسأله فى قلق :

— ( مارسيل ) .. لِمَ تبدو مختلفًا هذا المساء ؟

استعاد ( أدهم ) صوته الأصلىّ ، وهو يقول متهكمًا :

— لأننى ببساطة لست ذلك الوغد ( مارسيل ) يا عزيزتى ( كلوديا ) .

قفزت ( كلوديا ) من على الأريكة فى ذهول ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تحدق فى وجه ( أدهم ) ، الذى انتزع ذلك القناع ، الذى يحمل ملامح ( مارسيل ) ، وألقاه جانبًا فى ازدراء ، قبل أن يقول فى سخرية :

— هل أدهشتك رؤيتى يا عزيزتى ( كلوديا ) ؟

ظلت ( كلوديا ) تحدق فى وجهه بمزيج من الذهول والرعب ، قبل أن تهتف فى صوت مرتجف :

— مستحيل !.. لقد جعلك ذلك القناع نسخة طبق الأصل من ( مارسيل ) ، ولكن صوتك هذا مستحيل !!

هزّ ( أدهم ) كتفيه فى هدوء ، وهو يقول :

— لقد استغرقت ثلاثين عامًا كاملة ؛ لأكسب حنجرتى هذه المرونة الصوتية يا عزيزتى ( كلوديا ) ، ولكننى أشعر فى الكثير من المواقف ، أن هذا التدريب الشاق لم يذهب سُدى .



التقطت ( كلوديا ) أنفاس سيجارتها بأصابع مرتجفة ، وحاولت أن تتظاهرَ بالهُدوء والثقة ، وهى تقول فى لهجة تحمل صيغة الإنذار والوعيد :

— هل يعلم ( مارسيل ) أنك تنتحل شخصيته ؟

ابتسم ( أدهم ) ، وشبَّك أصابع كفَّيه أمام وجهه ، وهو يقول فى هدوء :

— هذا لم يعُد يهمّ .. لقد انتهى ( مارسيل بيكر ) تمامًا .

اتسعت عيناها فى رُعب وذُهول ، وهى تهتف :

— هل .. هل قتلته ؟

مطّ شفتيه ، وهزّ كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

— إننى أكره إراقة الدّماء يا عزيزتى ( كلوديا ) .. كل ما فعلته هو أننى سلّمت كل المستندات التى تدينه إلى النائب العام هنا ، وهم يقتحمون فيلّته الآن ، وأعتقد أن عقوبته لن تتجاوز الإعدام بالمِقْصلَة .

ازداد ارتجاف أصابع ( كلوديا ) ، وشعرت أنها باتت عاجزة عن التقاط أنفاس سيجارتها ، وهى تغمغم فى صوت مختنق :

— وماذا عن ( برجيت ) ؟

أجابها ( أدهم ) فى هدوء شديد :

ـــ لم يَعُد باقيًا سواك ياعزيزتى ( كلوديا ) .

انتقل ارتجاف أصابع ( كلوديا ) إلى جسدها كله ، وهى تتطلّع إليه فى توتّر ، قبل أن تقول فى عصبية :

ـــ اسمع يامسيو ( أدهم ) .. لقد كنت شديدة الحرص والحذَر منذ البداية ، ولن تجد دليلًا واحدًا يدينني ، أو يربط بيني وبين ( مارسيل ) أو ( برجيت ) ، فحتى الأموال التى كانت تحصل عليها هذه الأخيرة من مؤسستى ، كانت تصرف بتوقيع ( جوزفين ) وليس بتوقيعى ، ويمكننى أن أدّعىَ أننى لم أكن أعلم هذا .

قال ( أدهم ) فى هدوء :

ـــ لست أحتاج إلى أدلّة ياعزيزتى ( كلوديا ) .

تضاعفت عصبيتها ، وهى تقول :

ـــ لا بأس .. أنا سيّدة أعمال .. دَعنا نتحدث بأسلوب تجارىّ بحت .. إننى على استعداد لدفع مبلغ .....

قاطعها ( أدهم ) فى برود :

ـــ إننى أرفض .

هتفت فى حِدّة :



ـــ حتى ولو كان المبلغ يحمل سبعة أصفار إلى يمينه ؟

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ حتى ولو أحاطت به الأصفار من كل جانب .

بلغت عصبيتها ذروتها ، وهى تصيح :

ـــ ماذا تريد إذن ؟

ظلّ ( أدهم ) صامتًا لحظة ، ثم مال نحوها ، وهو يقول فى هدوء مثير للأعصاب :

ـــ ماذا فعلتِ فى أثناء زيارتك لمصر يا ( كلوديا ) ؟

حدّقت ( كلوديا ) فى وجهه لحظة ، ثم اعتدلت ، ونفثت دُخان سيجارتها فى عصبيّة ، وهى تقول :

ـــ هل يمكننى اعتبار السؤال هو بداية المساومة ؟

عاد يكرّر سؤاله فى مزيد من الصرامة :

ـــ ماذا فعلتِ فى ( مصر ) يا ( كلوديا ) ؟

هتفت فى حِدّة :

ـــ لن يُمكِنك مُحاكمتى فى ( فرنسا ) ، بتُهمة التجسُّس على ( مصر ) ، وإذا أردت أن أخبرك بما فعلته فى ( مصر ) ، فينبغى أن تعدنى بأنك لن تحاول إرسالى إلى هناك لمحاكمتى .

ابتسم فى هدوء ، وهو يقول :

— أعدك يا ( كلوديا ) .

تسلل الأمل إلى نفسها ، فعادت تهتف :

— وأن تبتعد عن طريقى ، ولا تحاول تسليمى للشرطة الفرنسيّة ، أو قتلى .

عاد يقول فى هدوء :

— لك هذا أيضًا .

زفرت فى ارتياح ، وقالت :

— حسنًا .. لقد ذهبت إلى ( مصر ) ؛ لأزرع جاسوسًا خاصًا وسط صفوفكم .

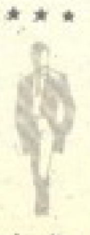
عقد حاجبيه فى اهتمام ، وهو يقول :

— فى أى موقع ؟.. وما اسمه ؟

نفثت دخان سيجارتها ، وهى تقول :

— لم يعد هناك مجال للتراجع .. سأخبرك .. سأخبرك بكل التفاصيل .

* * *





# ١١ — إلى ( موسكو ) مع تحياتى ..

لم يكد ذلك الفرنسى يغادر بهو الفندق الفاخر ، فى قلب ( القاهرة ) ، وهو يحمل فى جيبه تلك القدّاحة الذهبيّة ، التى تحوى الميكروفيلم ، حتى استوقفه النقيب ( مدحت ) ، وهو يسأله فى هدوء ، وبفرنسية سليمة :

— هل أجد لديك ما أشعل به سيجارتى ياسيّدى ؟

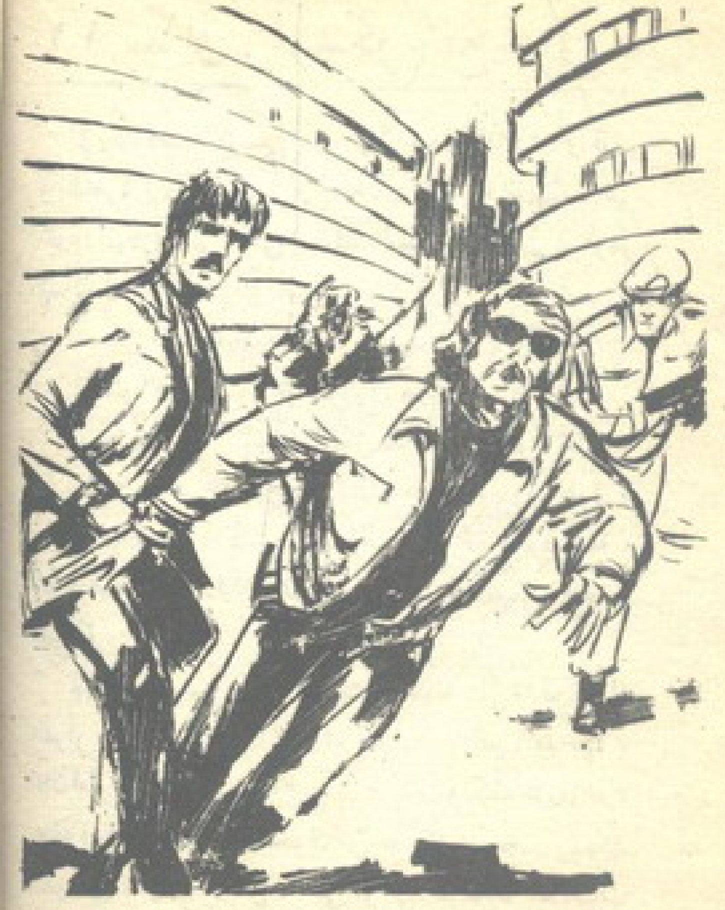
ابتسم الفرنسى ، وهو يقول فى هدوء :

— لا للأسف .. إننى لا أحمل قدّاحة ، أو أعواد ثقاب .

رفع ( مدحت ) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

— عجبًا !!.. كنت أظنك تحمل قدّاحة ذهبيّة أنيقة ، تحوى ميكروفيلم دقيقًا ، يمتلئ بصور بعض التصميمات الحربيّة السرّيّة ..

لم ينتظر الفرنسى ليتمّ ( مدحت ) عبارته ، بل اندفع يحاول الفرار ، بعد أن أيقن أن أمره قد كُشف ، ولكن ( مدحت ) كان أسرع منه ، فقد وضع قدمه فى طريقه ، ولكمه على مؤخرة عنقه فى قوّة ، ليتيح له السقوط على نحو أكثر سرعة .. ولم يكد الفرنسى يحاول النهوض ، حتى فوجئ بفوّهات المسدسات



لم ينتظر الفرنسى ليتم ( مدحت ) عبارته ، بل اندفع يحاول الفرار ، بعد أن أيقن أن أمره قد كُشف ، ولكن ( مدحت ) كان أسرع منه ..

والمدافع الرشاشة تحيط به ، وسمع ( مدحت ) يقول فى هدوء ساخر :

— والآن .. هلا تكرمت بمنحى تلك القداحة الأنيقة ، إننى أنوى الاحتفاظ بها كتذكار لِلقائنا المؤثر .

رفع الفرنسى ذراعيه فى رُعب ، وهو يهتف :

— سأخبركم بكل شىء .. إننى مجرّد وسيط .. أقسم لكم .. سأخبركم بكل شىء .

* * *

انتظر الجاسوس الذى ينتحل شخصية اللواء ( حسن الغندور ) بعض الوقت ، قبل أن يطوى صحيفته ، ويضعها فوق المنضدة ، ثم ينهض استعدادًا للصُّعود إلى حجرته ، حيث يحتفظ زميله ، الذى ينتحل صفة طبيب ، باللواء ( حسن ) الحقيقى مخدّرًا ، انتظارًا لقدومه ، حيث تتبدل الأدوار ، ويعود كلٌّ إلى شخصيته ، ويدّعون أن اللواء ( حسن ) قد فقد وعيه فى الفندق ، فى حين يتجه الجاسوس إلى المطار ، ويعود إلى ( باريس ) بجواز سفره الحقيقى ..

ولم يكد الجاسوس يخطو بضع خطوات ، حتى استوقفه شاب هادئ ، باسم الثغر ، وهو يقول فى بساطة :

ـــ كيف حالك ياسيادة اللواء ، إنك تذكرنى .. أليس كذلك ؟

شعر الجاسوس بالضيق ، ولكنه رسم على شفتيه ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ـــ بالطبع .. ولكننى لست أذكر الاسم و.....

قاطعه الشاب فى هدوء :

ـــ النقيب ( مدحت مختار ) .. لقد عملت تحت رياستك فى هيئة التصنيع الحربى .

رفع الجاسوس حاجبيه ، متظاهرًا بأنه قد تذكَّر ( مدحت ) ، وهو يهتف :

ـــ نعم .. لقد تذكَّرت .. كيف حالك ياولدى ؟

ابتسم ( مدحت ) ، وهو يقول :

ـــ فى خير حال ياسيِّدى .. ولكنَّ هناك أمرًا يقلقنى للغاية .

عقد الجاسوس حاجبيه ، وهو يسأله :

ـــ أى أمر ياولدى ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى ( مدحت ) ، وهو يقول :



ـــ أين تحتفظ باللواء ( حسن ) الحقيقى ؟

اختلج قلب الجاسوس فى قوّة ، إلّا أن ملامحه ظلّت هادئة ، وهو يتظاهر بالدهشة ، قائلًا :

ـــ ماذا تعنى أيها النقيب ؟.. أنا اللواء ( حسن الغندور ) الحقيقى .

أطلق ( مدحت ) ضحكة قصيرة ، وهو يقول :

ـــ لا داعى لإضاعة الوقت فى مُهاترات لا طائل تحتها أيُّها الوَغْد .. لقد كانت خُطتُكم بالغة الإحكام ، ولكن السيِّدة زوجة اللواء ( حسن ) الحقيقى كشفت أمرك ، حينما خاطبتها بلقب ( زوجتى الحبيبة ) ، ذلك اللقب الذى لم يعْتد زوجها مخاطبتها به أبدًا ، ولقد أوقعت بك تلك السيِّدة الفاضلة ، حينما سألتك ما إذا كنت تريد تناول قدح القهوة كالمعتاد ، فلمَّا أجبتها بالإيجاب أيقنت أنك لست زوجها ، وأسرعت تتصل بنا وتبلغنا بالأمر ، ففهمنا اللُّعبة على الفَوْر ، واتخذنا أهبتنا لإلقاء القبض عليك .

ولم يستطع منع نفسه من إطلاق ضحكة أخرى قصيرة ، قبل أن يستطرد :

ـــ لقد فشلت تحرِّياتكم فى معرفة نقطة بالغة الأهمية أيها

الوغد ، وهى أن اللواء ( حسن ) الحقيقىّ لا يحاول القهوة قطّ .

اتسعت عينا الجاسوس فى ذعر ، وقد أيقن أن ربّة بيتٍ مصريّة عاديّة قد أوقعت به ، وحطّمت خطّة مُحْكَمة ، ضحّى من أجلها بوجهه ، ليحمل إلى الأبد وجه اللواء ( حسن ) ، وجفّت الدماء فى عروقه ، وهو يواصل الاستماع إلى ( مدحت ) ، الذى أردف فى هدوء :

ـ ولم يعُد بإمكانك الإنكار ، أو حتى الفرار ، فلقد ألقينا القبض على الرجل الذى سلّمته قداحتك الذهبيّة ، التى تحوى الميكروفيلم ، ولدينا شريط فيديو أنيق ، يحوى تفاصيل استبدال القدّاحتين بالصّوتِ والصُّورة ، والفندق محاصر برجال الشرطة والمخابرات ، ولديهم أوامر مباشرة بإطلاق النار عليك فى مقتل ، عند أول بادرة لمُحاولة فِرار .. أتحبُّ أن تستسلم فى هدوء ، أم ننقل جثتك إلى مقابرنا بعد معركة قصيرة ؟

أطرق الجاسوس برأسه فى استسلام ومذلّة ، وهو يغمغم فى مرارة :

ـ لقد قُلتها بنفسك .. لا داعِىَ لإضاعة الوقت .

ثم أردف فى لهجة تحمل قنطارًا من الدموع :

ـ إننى أستسلم ، وسأخبركم بكل شىء .

* * *



استمع ( أدهم ) فى إعجاب إلى حديث مدير المخابرات المصريّة ، وهو يقصُّ عليه ، عبْر هاتف ( كلوديا ) الدولىّ الخاصّ ، تفاصيل إلقاء القبض على الجاسوس ، ثم ابتسم وهو يقول :

ـ عمليّة رائعة يا سيّدى .. قدّم تهنئاتى إلى ( مدحت ) ، وسأهنئه بنفسى حين عودتى .

ثم وضع السّمّاعة ، والتفت إلى ( كلوديا ) ، قائلًا فى سخرية :

ـ لم يكن لاعترافك جدْوَى يا عزيزتى ( كلوديا ) .. لقد ألقَوْا القبض على ذلك الوغد فى ( القاهرة ) منذ ساعة واحدة .

عقدت حاجبيها ، وهى تنفث دُخان سيجارتها فى عصبية ، قائلة :

ـ لقد وعدتنى .

ابتسم ، وهو يقول فى هدوء :

ـ بالطبع يا عزيزتى ( كلوديا ) .. لقد وعدت بألا أحاول إرسالك إلى ( القاهرة ) ، أو إبلاغ الشرطة الفرنسيّة ، أو تعقّبك على أى نحو ، وأنا رجل أفِى بوَعودِى .

ارتسمت ابتسامة ارتياح على شفتى ( كلوديا ) ، إلّا أنّ القلق عاد إليها أضعافًا مضاعفة ، حينما ارتفع صوت ( أدهم ) ، وهو يهتف بعبارة ما ، بلغة لم تفهمها ، واتسعت عيناها فى مزيج

من الذعر والدهشة ، حينما دخل إلى حجرتها الخاصة رجل بارد الملامح ، مربّع الوجه ، أشقر الشعر ، ضيّق العينين ، أزرقهما ، حدجَها بنظرة قاسية ، ألقت الرُّعب في قلبها ، قبل أن يقدّمه إليها ( أدهم ) ، قائلًا في هدوء :

ـ الكولونيل ( سيرجي كوربوف ) .. من الـ( كي . جي . بي . ) ، وهو يريد أن يستجوبك بشأن عملية ( موسكو ) .. أوّل عملية قامت بها منظمتكم الخاصة .

تراجعت ( كلوديا ) ، وهي تهتف في رُعب :

ـ ليس لديّ ما أقوله .. لن أنطق بكلمة واحدة .. ليس لكما الحق في استجوابي في منزلي .

هزّ ( أدهم ) رأسه ، قبل أن يقول في بُرود :

ـ لقد أخطأت فهمي يا عزيزتي ( كلوديا ) .. إنّ ( سيرجي ) لا ينوي استجوابك هنا .. إنه سيحملك معه ، في حقيبة ديبلوماسية أنيقة ، إلى ( موسكو ) .. مع تحياتي .

تجلّت أبشع صور الرعب على وجه ( كلوديا ) ، وهي تصرخ في صوت مختنق :

ـ ( موسكو ) ؟!.. كلا .. كلا .

ثم اندفعت نحو النافذة ، وكأنما جال بخاطرها أن الانتحار



أقلّ ألمًا من استجوابها في ( موسكو ) .. ولكن ( سيرجي ) قفز نحوها ، وجذبها من شعرها في قوّة ، جعلتها تصرخ فزعًا وألمًا ، ثم انتزع من جيبه حقنة صغيرة ، غرز إبرتها في ذراعها ، ليدفع في جسدها مادّة شفافة ..

وتأوّهت ( كلوديا ) في ألم وذُعر ، وأخذت تلوّح بذراعيها في فزع ، وهي تهتف في صوت متهالك :

ـ كلا .. ليس ( موسكو ) .. ليس ( موسكو ) .

وأخذت تردّد نفس العبارة ، وصوتها يخفت ويتهالك تدريجيًا ، حتى سقطت فاقدة الوعي ، بين ذراعي ( سيرجي ) ، من أثر المادّة المخدّرة ، التي حقنها بها ..

وتركها ( سيرجي ) تسقط أرضًا في لامبالاة ، ثم التفت إلى ( أدهم ) ، وسأله في برود :

ـ شكرًا لهديتك أيها الرفيق ( أدهم ) ، ولكنني ما زلت أتساءل : لماذا قدّمت إلينا زعيمة ( ملائكة السلام ) على طبق من فضة ؟

ابتسم ( أدهم ) ، وهو يقول :

ـ بل من ذهب يا صديقي .

ثم تنهّد ، واكتست ملامحه بالجدّيّة ، وهو يردف :

— يمكنك أن تقول إننى رجل يحبّ أن يسدّد ديونه أولاً فأوّلاً ، ويكره الوسائل التقليديّة المألوفة .

حدجه ( سيرجى ) بنظرة متشكّكة ، ثم عاد يسأله ببروده التقليدى:

— سؤال أخير أيّها الرفيق ( أدهم ) .. كيف عثرت علىّ، على الرغم من مغادرتى سفارتنا بعد لقائنا الأخير فيها ؟

ارتسمت ابتسامة غامضة على شفتى ( أدهم ) ، وهو يقول :

— معذرة أيها الرفيق ( سيرجى ) .. لن يمكننى كشف وسائل مخابرات وطنى السّرّيّة أبدًا .

وفاضت كلماته بالعزم والقوّة ، وهو يُردف فى اعتزاز :

— أبدًا .

* * *





# ١٢ ــ الختام ..

دلف ( أدهم ) إلى ذلك الفندق الفاخر ، الذى يطلّ على برج ( إيفل ) الشهير ، فى قلب ( باريس ) ، وهو فى هيئة الإنجليزى الوقور .. ولم يكد موظّف الاستقبال يلمحه ، حتى هتف به فى احترام :

— مرحبًا ياسير ( إدوارد ) .. لقد وصل سكرتيرك الخاصّ ، وأعطانى جواز سفرك ، وهو ينتظرك فى قاعة الطعام .

ثم ناول ( أدهم ) جواز سفر بريطانيًا ، وهو يردف فى احترام :

— هاك الجواز ياسيّدى .. لقد نقلت كل البيانات المطلوبة .

تناول ( أدهم ) جواز السفر ، وهو يغمغم فى هدوء :

— شكرًا لك ..

ثم أسرع الخطا إلى قاعة الطعام ، وابتسم وهو يتطلّع إلى رجل بالغ البدانة ، انهمك فى التهام إفطار دسم فى شراهة واضحة ، واقترب منه ، ليضع يده على كتفه قائلًا :

ــ مرحبًا بك فى ( باريس ) ياعزيزى ( قدرى ) .

كفّ ( قدرى ) عن التهام طعامه ، وتهلّلت أساريره وهو يهتف :

ــ كيف حالك ياصديقى ؟

جلس ( أدهم ) إلى جواره ، وضحك وهو يقول فى مرح :

ــ هل أعجبك طعام ( باريس ) ؟

قهقه ( قدرى ) ضاحكًا ، على نحو أقلق كل روّاد قاعة الطعام ، وهو يقول :

ــ إنها تعويض كافٍ عن انتزاعهم لى من فراشى بعد منتصف الليل ، حتى أفرّغ إليك ياصديقى العزيز .

فتح ( أدهم ) جواز السفر ، وألقى نظرة على الصورة التى تزيّنه ، والتى تبدو مماثلة لهيئته الحاليّة تمامًا ، ثم قلّب صفحاته لتطالعه تأشيرة مزوّرة بإتقان بارع ، لدخول الأراضى الفرنسيّة ، وأخرى حقيقية للسفر إلى ( مصر ) ، ثم عاد يغلقه ، ويدسُّه فى جيب معطفه ، وهو يقول فى إعجاب :

ــ عمل رائع ياصديقى .. إنك تمتلك حقًا أصابع ذهبيّة .

هزّ ( قدرى ) كتفيه فى لامبالاة ، وعاد لالتهام طعامه فى شراهة ، وهو يقول :



ــ إنه عمل بالغ البساطة ياصديقى ، فأنت تنتحل شخصية سبق لك انتحالها ، وكنت احتفظ ببعض الصُّوَر الواضحة لك فى هذه الهيئة ، ثم إن مكتبى يحوى جوازات سفر لكل الجنسيّات ، وتأشيرات واضحة لدخول كل دُوَل العالم ، ولم يستغرق الأمر منّى أكثر من نصف الساعة ، لأصنع الجواز المطلوب .

ضحك ( أدهم ) ، وهو يقول فى إعجاب :

ــ يالك من عبقرى متواضع ياصديقى !!

عاد ( قدرى ) يهزّ كتفيه فى لامبالاة ، ثم سأل ( أدهم ) فى اهتمام :

ــ كيف حال مهمّتك ؟.. هل نجحت ؟

ابتسم ( أدهم ) فى هدوء ، وهو يقول فى ارتياح :

ــ نعم ياصديقى .. لقد انفرط عقد ( ملائكة الجحيم ) إلى الأبد ..

* * *

ظلّت ( منى ) صامتة طوال الطريق إلى ( القاهرة ) ، حتى سألها ( أدهم ) مبتسمًا ، حينما دخلت الطائرة الأجواء المصريّة :

— ماذا بك يا عزيزتى ؟
أجابته فى صرامة :
— غاضبة .
ضحك ، وهو يقول :
— لماذا ؟
التفتت إليه لتقول فى حَنَق :
— لأنك أهملتنى تمامًا فى الجولة الأخيرة من العمليَّة ، وقمت بالعمل كلِّه وحدك ، ودون مشاركتى .
ربَّت على كفِّها فى حنان ، وهو يقول :
— مَعْذِرةً يا عزيزتى .. كنت أعلم أن هذا سيثير حفيظتك ، ولكننى أقسمت لنفسى قبل أن أفرّ من السجن ألا ألجأ لأيّة معاونة ، حتى أوقع بآخر فرد من ( ملائكة الجحيم ) .
قالت فى غضب :
— وماذا عن ( قدرى ) ؟.. ألم يأت لك بجواز السفر البريطانى الذى جعلك تنجح فى العوْدة إلى ( القاهرة ) ، بينما كل رجل شرطة فى ( باريس ) يبحث عنك ؟
ضحك وهو يقول :
— كنت قد انتهيت من المهمة حينذاك يا عزيزتى .



عقدت حاجبيها ، وهى تقول :
— لا تحاول خداعى .
ابتسم فى وُدّ ، وهو يتطلّع إليها ، قائلًا :
— لقد انتهت المهمة بنجاح يا عزيزتى ، وهذا هو المهمّ .
ثم أردف ضاحكًا :
— ثم إن حديثنا سيوقظ صديقنا ( قدرى ) ، وهو قد ظلّ مستيقظًا طيلة الليل ، حتّى يصل بالجواز إلى ( باريس ) مَعَ الفَجْر .
ابتسمت لدعابته ، وصمتت لحظة ، قبل أن تسأله فى رقّة :
— كيف تتوقّع عناوين الصحف الفرنسية غدًا ؟
هزّ كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :
— القبض على ( مارسيل بيكر ) .. قضية الجاسوسية الخاصّة بـ ( برجيت فرانسوا ) .. واختفاء المليونيرة ( كلوديا موريس ) .
غمغمت ( منى ) فى إشفاق :
— مسكينة ( كلوديا ) .
تنهّد قبل أن يقول فى هدوء :
— لقد نالت ما تستحق يا ( منى ) ، وهذا أقل جزاء ، لمن يهدّد أمن ( مصر ) .

* * *

اجتمع عدد من الملازمين الأوائل بثياب مدنية ، فى فناء تلك المدرسة القديمة ، المعروفة على مستوى القادة باسم ( مدرسة المخابرات ) ، ومال أحدهم على أذن رفيقه ، يهمس فى خفة واهتمام :

ـــ هل تعلم من سيلقى محاضرة اليوم ؟

دفعت اللهفة الواضحة فى عينيه وصوته زميله إلى أن يسأله فى شغف :

ـــ مَنْ ؟

أجابه الأوّل فى لهجة تشفُّ عن خطورة الأمر :

ـــ المقدّم ( أدهم صبرى ) .

اتسعت عينا زميله ، وهو يهتف فى دهشة :

ـــ الأسطورة ؟!

أجابه زميله بإيماءة من رأسه ، فعاد يقول فى دهشة :

ـــ ولكن متى عاد من مهمته ؟.. لقد كانوا يقولون إنها مهمة بالغة الخطورة ، ومن المستحيل أن يكون قد أنهاها فى أقل من أسبوع .

تألقت عينا زميله فى إعجاب ، وهو يقول :

ـــ لا يوجد مستحيل بالنسبة لرجل مثل المقدّم ( أدهم صبرى ) .



بدا الشك فى عينى الآخر ، وهو يغمغم :

ـــ لكل إنسان قدرات محدودة ، مهما بدت فائقة .

هتف زميله :

ـــ أراهنك أنه ما من مخلوق يمكنه تقدير قُدرات المقدّم ( أدهم صبرى ) .

ثم تألّقت عيناه فى إعجاب وخفة ، وهو يشير إلى البوّابة ، مستطردًا :

ـــ لقد وصل .

اتجهت عيون الجميع نحو سيّارة بسيطة من الـ ( نصر ١٢٨ ) تعبُر فناء المدرسة ، لتستقر فى هدوء إلى جانب الحافلة ، التى تحضر الجميع إلى المدرسة القديمة ، وتعلّقت عيون الجميع بالرجل الوسيم ، الممشوق القوام ، العريض المنكبين ، الباسم الثغر ، الذى هبط من السيّارة ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ صباح الخير يا رجال .

أجاب الجميع تحيّته فى توقير واحترام ، وتبعوه إلى قاعة المحاضرات الفاخرة ، التى يتناقض مظهرها على نحو واضح كبير ، مع مظهر المدرسة القديمة المتهالكة من الخارج ، واستقرّ هو خلف مائدة الشرح ، وابتسم وهو يقول :

ـ مُحاضِركم اليوم هو المقدّم ( أدهم صبرى ) ، ومحاضرة اليوم ستجد طريقها إلى قلوبكم فى يُسر وسهولة ، فهى تحيا فى أعماق كل منكم ، وهى المحرّك الأوّل لكم .

وابتسم وهو يردف :

ـ إنها محاضرة عن الحبّ .

هتف بعضهم فى دهشة :

ـ الحبّ ؟!

امتلأ صوت ( أدهم ) بكل الحبّ ، والفخر ، والاعتزاز ، والزّهو ، والحماس ، وهو يجيب :

ـ نعم يا رجال .. إنها محاضرة فى حُبّ ( مصر ) .

* * *

[ تمّت بحمد الله ]

رقم الإيداع ٣٦١٩

المؤلف



د. نبيل فاروق

# رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٦٢

# الجاسوس

- هل ينجح رجال ( مارسيل بيكر ) ، ملك العصابات ، في قتل ( أدهم صبري ) ، في سجن ( باريس ) ؟
- كيف تكون الجولة القادمة ، بين المخابرات المصرية ، و ( ملائكة الجحيم ) ؟.. وهل ينجح جاسوس ( ملائكة الجحيم ) ؟
- ترى من يحوز النصر في هذه المعركة ؟.. المخابرات المصرية أم ( الجاسوس ) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، لترى كيف يعمل رجل المستحيل..



العدد القادم : تحت الصفر

الثمن في مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم